أبناؤنا والحروب... دليل المعلم للمساندة النفسية

داليا مصطفى الشيمي★

إهداء

إلى كل إنسان داخل بلادنا العربية التي ذاقت مرارة الحروب والاحتلال

لبنان..فلسطين..العراق....قلوبنا معكم وهذا أبسط ما يمكننا تقديمه فتقبلوه مع خالص دعواتنا علنا نكون يوما وسطكم

تمهيد كتاب المساندة النفسية

ظروف إخراج هذا الدليل (قصة خروج هذا المؤلَف): يعد هذا المؤلَف الذي بين أيدينا الآن المرحلة الثانية لمشروع المساندة النفسية لمتضرري الحرب(حرب لبنان ضد العدو الصهيوني يوليو٢٠٠٦) والذي بدأته مؤسسة ميديا انترناشيونال بالتعاون مع جمعية قطر الخيرية.

فمنذ يوم ١٢ يوليو ٢٠٠٦، بدأ مستشارو ميديا انترناشيونال وإدارته في التفكير حول كيفية المساندة لإخواننا اللبنانيين وتعددت اللقاءات والاجتماعات حول ما يمكن تقديمه فكانت فكرة الكتاب الأول المساندة النفسية لمتضرري الحرب الذي قدر الله لي أن أقوم بتأليف الجزء المتعلق بالأطفال والمراهقين داخله وقد كان من المقرر أن يتم إرساله عبر البريد الإلكتروني للجمعيات الأهلية العاملة هناك ليكون بمثابة موجة لهم في خطواتهم أثناء التعامل مع الضحايا.

وخلال ذلك جاء عرض جمعية قطر الخيرية بتمويل المشروع ليصبح تواجد داخل لبنان من خلال التدريب الحي للمتطوعين وبدأت مرحلة الإعداد للسفر وتجهيز أماكن للتدريب هناك فأرسلت الإدارة للجمعيات برغبتنا في تدريبهم على الدليل، وتم ذلك بفضل الله وذهبنا إلى هناك واستمرينا هناك ما يقرب الشهر.

وخلال التدريب، وأثناء جمع آراء الناس واحتياجاتهم جاءت فكرة أن المدارس أوشكت على البدء وكثير منها تحطم بالإضافة إلى صعوبة الموقف على الأطفال الذي يتعرضون لخبرة الحرب لأول مرة ففكرت في أن أقترح تجهيز دليل آخر ليكون موجة للمعلمين والعاملين في هذا الشأن التربوي والتعليمي نعرض فيه للعديد من الموضوعات التي ينبغي عليهم الإلمام بها والتي يمكن أن تساعدهم في تقليل الآثار الناجمة عن الحرب على الأطفال الذين يعملون معهم في المدرسة. وطرحت الفكرة على إدارة مؤسسة انترناشيونال ووافقت عليها ثم في أحد الأيام التدريبية في مدارس الإيمان بصيدا، وبعدها تلقينا دعوة من السيدة بهية الحريري وهي معروفة بكونها مهتمة بالعملية التربوية والتعليمية على مستوى لبنان بأكملها وعرضنا عليها الفكرة بالإضافة إلى فكرة أخرى اقترحتها وهي بأمر الله في طور التنفيذ.

جئت إلى القاهرة بعدها لأعد هذا الدليل بعد التعرف على البيئة هناك، وعلى الرغم من كون الكتاب موجه إلى الإخوة اللبنانيين أو تم تنفيذه بخصوصهم إلا إنني سعيت بأن يجمع المؤلف الذي بين أيديكم الآن كافة المعلومات التي يمكن أن تفيد في المواقف المشابهة في بلادنا العربية والتي تعرض لظروف الحرب والعدوان في مختلف أنحائه وذلك لحماية أبناءنا من الوقوع تحت تأثير العوامل النفسية اللاحقة على الحرب. والله الموفق

★ مدير مركز عين على بكرة للمساندة النفسية والتنمية الأسرية للاستشارات والاختبارات والتدريب

الباب الأول
الفصل الأول

الهدف من الدليل:

يهدف الدليل إلى رفع كفاءة المعلم أو العاملين في المجال التربوي والتعليمي في التعامل مع الأطفال بعد تعرضهم إلى صدمة الحرب، فالمعلم هو القدوة والمثل بالنسبة لتلاميذه وطلابه، وبالتالي فلابد أن يجمع بين يديه أدوات تساعده على مساندة هؤلاء التلاميذ والخروج بهم من دائرة الآثار السلبية للتعرض لخبرة الحرب أو على أقل تقدير تقليل آثارها البعيدة على شخصية الطفل وقدراته العقلية.

فقد أحتوى الدليل على أطروحات نظرية يجب أن يلم بها المعلم، مثل بعض الدراسات التي توضح الآثار اللاحقة على الحرب بالنسبة للأطفال وكذلك خصائص المراحل العمرية التي يمر بها الطفل في كافة مستويات النمو خلال المراحل الدراسية، بالإضافة إلى كافة جوانب النمو من عقلية وإدراكية إلى جسمية إلى انفعالية الخ.

هذا بالإضافة إلى بعض المعالجات العملية التي يمكن أن تساعده في تحقيق هدف تقليل الآثار النفسية للتعرض للحرب لدى تلاميذه سواء أستخدمها كما هي أو أدخل عليها ما يراه مناسبا من تعديلات تتماشى مع الظرف التي يعمل فيها.

أهمية الدليل

تأتي أهمية الدليل من خلال الخدمة التي يقدمها والتي شرحنا لها في تناولنا للهدف من الدليل، حيث أن الأطفال هم الفئة الأكثر تأثرا بالحروب والكوارث، حيث تعم التأثيرات كافة جوانبهم من جوانب نفسية وإدراكية وعقلية واجتماعية، وهو بالتالي ما سيترك آثاره على استيعابهم وتحصيلهم الدراسي، بالإضافة لأبعاد أخرى في الشخصية مثل الخوف المرضي أو الانطواء أو انخفاض الثقة بالنفس والعالم. ولما كانت المدرسة أحد المجالات الهامة في حياة الطفل، ومن أهم المؤثرات في حياته وفي تشكيل مفهومه عن ذاته وعن العالم الخارجي، كان لابد أن نجهز هذه المدرسة لتقوم بهذا الدور وذلك من خلال إعداد المعلم - الذي يعد أهم عامل من عوامل وأركان العملية التعليمية - ليقوم بهذا الدور ليكون المرشد الموجه للطفل، بل المرشد والموجه لأسرته لتحسين التعامل معه فكلاهما (المدرسة والأسرة) يهدفا للنجاة بهذا الطفل من الآثار السلبية لما تعرض له وكلما اتسعت خبرة المعلم وكان ملما ببعض الأدوات والأساليب العملية التي تمكنه من القيام بهذا الدور كلما أستطاع تقديمه على أفضل وجه ممكن.

كيف يستفيد المعلم من هذا الدليل:

يرجى إتباع الإرشادات التالية لتحقيق أعلى استفادة ممكنة من هذا الدليل وهي:

١- لابد أن تعلم عزيزي المعلم أنك جزءا لا يتجزأ من المجتمع الذي تضرر بكافة فئاته لذا يجب عليك أن تحاول أولاً أن تتخلص أنت من بعض الانفعالات السالبة كنتيجة لما تعرضت له أنت أيضا. فقبل أن تكون معلم أنت إنسان، أب لأطفال أو أبن لوالدين أو أخ أو.. وربما تكون تعرضت لأضرار مباشرة في أسرتك أو في منزلك أو في..... لذا احرص على عمل تفريغ نفسي لما يفتعل داخلك من مشاعر وذلك إما بالتحدث مع مجموعة من المعلمين الزملاء أو أفراد الأسرة فيما تعرضت له وقد شرحنا في كتابنا الأول "المساندة النفسية لمتضرري الحروب والكوارث" الأساليب التي يمكن أن تتبع في ذلك.

٢- عليك أن تؤمن بأن لك تأثير كبير في تلاميذك وطلابك ولابد أن يكون هذا الإيمان بمثابة عقيدة ثابتة داخلك حتى يمكنك التأثير فيهم وتقليل معاناتهم .

٣- الدليل يقدم نموذج لما يمكن تقديمه من خلال بعض الأطروحات العملية، ولكن عليك أن تكون مرن في التعامل معها وأخذها باعتبارها نماذج يمكن تعديلها وتوجيهها بالشكل الذي يناسب الظروف التي تعمل فيها فتدخل، عليها ما تراه مناسب من تعديلات أو حذف أو إضافة .

٤- عليك إتباع قراءة الدليل بترتيبه، لأن كل جزء فيه مبني على الجزء السابق عليه ويمهد للجزء التالي، فلابد أن تعرف أولا الآثار المترتبة على الحروب والكوارث لدى الأطفال ثم تعرف خصائص المرحلة العمرية التي يمر بها تلاميذك ثم إرشادات حول التعامل معهم وأخيرا التدخلات العملية للتعامل مع هذه الأعراض .

٥- للاستفادة العملية من الدليل عليك أن تعلم معلمنا الفاضل أنه لابد من العمل وسط فريق عمل فلو أنت آمنت بالفكرة وتعاملت فيها بمفردك فلم تأتي بالنتائج المرجوة منه، فلابد من تحقيق التعاون مع باقي العاملين في المدرسة

وكذلك التعاون مع أفراد أسرة الطفل قدر المستطاع، من أجل توحيد الهدف وتضافر الجهود من أجل تحقيق على أكمل وجه ممكن .

٦- أدعوك عزيزي المعلم لقراءة الدليل مرتين مرة بوصفك أب لطفل في مدرسة تعلم كم تعرض لضغوط أثناء تعرض بلادك لظروف الحرب القاسية وكم تضرروا منها رغم الانخفاض قدرتهم على الإدراك والتعامل المتوافق معها لصغر سنهم. والقراءة الثانية كمعلم وصاحب رسالة يمكنك من خلال مهنتك (أسمى المهن) أن توجههم وتكفل لهم الأمان وإمدادهم بما يعينهم على تخطى تلك الأزمة.

الشريحة المستهدفة من الدليل:

أولا الشريحة العامة:

الشريحة المستهدفة من دليلنا الحالي بصورة عامة هي المجتمعات العربية التي تعرض ويتعرض أبناءها إلى ظروف الحرب والعدوان الذي يؤثر على مختلف فئاته العمرية، وأكثر فئة هي فئة الأطفال سواء من قبل سن المدرسة أو أطفال المدارس.

ثانياً:الشريحة الخاصة أو التي سوف تستفيد بصورة مباشرة بالدليل: وتنقسم إلى فئتين هما:

- **المعلمين:** في هذه البلاد، حيث يهدف الدليل إلى تقديم أطروحات نظرية وإرشادات عملية لكيفية التعامل مع أطفال المدرسة بعد الحرب

- **فئة التلاميذ أو الطلاب في هذه البلاد :** وهم من يحاول الدليل أن يغطى احتياجاتهم وتحديد خصائصهم. وينقسموا إلى أربع فئات تشمل:

- أطفال ما قبل المدرسة (الروضة – والملتحقين بالمدرسة لأول مرة)
- أطفال المرحلة الابتدائية (من ٦ -١١ سنة)
- أطفال المرحلة الإعدادية (الطفولة المتأخرة من ١١-١٣ سنة)
- طلاب المدارس الثانوية (مرحلة المراهقة من ١٣ -١٦ سنة)

وسوف نتناول كل مرحلة بخصائصها العمرية، وكذلك تحديد بعض الإرشادات في التعامل معها هذا إلى جانب توضيح الإجراءات العملية في التدخل معهم.

الفصل الثاني
تأثير الحروب على الأطفال

تمهيد: سوف نتناول في هذا الفصل عرضا لكل من:

تأثير مواقف الحروب على الأطفال، وذلك من خلال عرض بعض الدراسات التي أجريت في بلاد تتعرض للحرب والاستعمار، هذا بالإضافة إلى تناول الأعراض المرضية التي تظهر على الطفل نتيجة الوقوع تحت تأثير الحرب، وذلك حتى نفهم ما الذي يحدث لدي الطفل، كما أن عرض هذه الأعراض سوف يجيب عن كثير من أسئلتنا حول ما قد يعترى الطفل وسلوكياته من تغير بعد الحرب حتى لو لم يتضرر منها تضرراً مباشراً بفقدان أحد أفراد أسرته أو بفقدان منزله أو مدرسته فالجو العام الذي تتم فيه الحرب يلقى بظلاله على مختلف جوانب الحياة ويبعث فيها حالة من عدم الطمأنينة التي لا تنتهي والتي ربما نعتقد خطأً أن الأطفال لا تفهمها لأنا نوفر لهم ما يحتاجون.

تأثير الحروب على الأطفال

مقدمة:

تعد مواقف الحروب من أخطر الظروف التي يتعرض لها الإنسان بوجه عام حيث تمثل ضغطاً في كافة مجالات الحياة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والنفسي.

فتأثير الحرب يتعدي مجرد انهيار مبني أو عدة مبان أو تدهور في الحالة الاقتصادية، فأثرها الأكبر والأكثر استمرار وعمقا هو تأثيرها على نفسية البشر وقدرتهم على التأقلم والتكيف مع ما تفرضه الحرب من مواقف وظروف خارجة عن تحمل البشر واستعدادهم وذلك للقدر الكبير إلي تحمله من التهديد وعدم الأمان.

فالإنسان بطبيعته الفطرية ينزع للعيش في جو آمن، يأمن فيه حياة مستقرة تتوفر فيها الظروف الطبيعية للحياة، والحد الأدنى من شروط استمرار هذه الحياة.

فالإحساس بالأمان هو القاعدة الأساسية في مدرج الحاجات لدي كل البشر على اختلاف انتمائهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية.

والأمان هو أول ما تهدمه الحرب بطبيعتها وتعمل على زعزعته وفي غياب هذا الأمان فإن توافر أياً من الاحتياجات الأخرى لا يسد هذه الحاجة، ولا يصبح ذا معنى. فإذا كان لكل منزل أو بناء قاعدة فالأمان هو المطلب الإنساني الأول.

وإن كان الأمر كذلك بالنسبة للإنسان بوجه عام، فالأمر اخطر وأكثر تركيبا وتأثيرا بالنسبة للأطفال بوجه خاص ويرجع ذلك لعدة أمور تتعلق بطبيعة الطفل وهي:

١- انعدام خبرة الطفل بموقف الحرب أو قلة خبرته بها وهو ما يكون لدي الراشد وتلك الخبرة التي ربما تقلل من هول التأثير عليه فعدم الاعتياد أو الخبرة بالموقف يؤدى إلى شدة تأثير المثير الجديد، وصعوبة في التأقلم معه فسماع صوت الانفجار لأول مرة لا يحمل نفس درجة الفزع والكرب عند التعرض له عدة مرات ففكرة الخبرة تصنع نوع من التوقع وهو ما يقلل من تأثيرها .

٢- انخفاض قدرات الطفل المختلفة ونعنى بها انخفاض قدرته على إدراك موقف الحرب من الناحية الإدراكية المعرفية، وكذلك انخفاض قدرته على حماية ذاته نظرا لصعوبة حركته بمفردة أو معرفة الأماكن الأكثر أمانا حتى يلجأ إليها .

٣- نتيجة للنقطتين السابقتين فإن درجة خوف الطفل بسبب حدة الموقف وانخفاض قدراته تتطلب تعاملا خاصة مع الطفل لتقليل الآثار المترتبة عليه، فالطفل يكتسب درجة أمانة من خلال الكبار وينتظر منهم دوما أن يطمئنونه وبالطبع تزداد الحاجة لذلك في مواقف الحروب .

أولا: الدراسات التي توضح تأثير التعرض لخبرة الحرب على الأطفال

مقدمة للدراسات :

دراسات أجريت على الأطفال لرصد تأثرهم عبد التعرض لصدمة الحرب:

أجريت العديد من الدراسات بهدف التعرف على الآثار التي تتركها الحروب على الأطفال سواء نفسيا أو سلوكيا أو حتى على مستوى الإدراك العقلي، وتنوعت عينات هذه الدراسات ومن بين الدراسات التي أجريت على أطفال فلسطين المحتلة نذكر منها:

وجدير بالذكر أن هناك عدداً من الدراسات التي أجريت على أطفال تعرضوا لأزمة الحرب وتم رصد تلك الأعراض لديهم ونجد منها :

١- **دراسة اتحاد المرأة الفلسطينية التي أجريت عام (١٩٨٩)** والتي نشرت في المؤتمر الدولي الذي عقد في فلسطين تحت عنوان "الانتفاضة والطفل الفلسطيني تحت الاحتلال"، وهي من الدراسات القليلة التي اهتمت بتوصيف الآثار النفسية والاجتماعية للأطفال الفلسطينيين وقت الانتفاضة الفلسطينية، وكانت عيّنة الدراسة من الأطفال في الفئة العمرية بين ٣ – ٩ سنوات .

وقد خرجت الدراسة بنتائج عديدة كان أهمها ما يلي :

- ٥٦.٥% من الأطفال الذين شملتهم عيّنة الدراسة يعانون من القلق .

- بلغت نسبة الأطفال الذين لم ترصد لديهم مؤشرات القلق كانت نسبتهم ١١.١% من العينة الكلية .

٢- دراسة (كاتليين) التي أجريت عام ١٩٩٦ :

تلك الدراسة التي هدفت للتعرف على آثار العنف الذي تمارسه السياسة الصهيونية الإسرائيلية على ضوء المشكلات السلوكية على الأطفال الفلسطينيين .

وكانت أهم نتائج الدراسة وجود علاقة موجبة مرتفعة بين التعرض للعنف وبين ظهور المشكلات السلوكية لدى الأطفال، خاصة لدى الذكور منهم .

من خلال هذه الدراسات وغيرها يتضح لنا مدى تأثير الحرب على نفسية الأطفال مما يستلزم معه تدخلاً مبكراً للتعامل مع آثاره، وتقليل مخاطرها على جوانب حياة الطفل النفسية والمعرفية اللازمة للنمو السوي للطفل .

ثانيا: الأعراض أو الاضطرابات الناتجة عن تعرض الطفل لموقف الحرب

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الأعراض أو الاضطرابات الناتجة عن تعرض الطفل لموقف الحرب؟

سوف نقسم أعراض ما بعد صدمة الحرب لدى الأطفال إلى فئتين، تبعاً للمرحلة العمرية الخاصة بالطفل، وهما :

١- مرحلة أطفال ما قبل المدرسة .

٢- مرحلة أطفال المدرسة والمراهقين .

أولاً: أعراض ما بعد الصدمة لدى صغار الأطفال

تظهر الأعراض المرضية لدى أطفال ما قبل المدرسة في عدد من الظواهر المحدودة التي يمكن بسهولة التعرف عليها ورصدها، وتشمل :

١- الخوف الشديد، بل وربما الرعب والهلع والذي يظهر في :

- الخوف من الآخرين خاصة الغرباء، فتجده منزوياً بعيداً لا يأمن وجود الأغراب وربما يصرخ إذا حاول أحد الغرباء الاقتراب منه .

- يظهر في صورة فزع وصراخ عند ابتعاد أحد أقاربه عنه (وهو ما يسمى بقلق الانفصال) فهو يخشى أن يترك بمفرده.

- يظهر في صورة اضطراب النوم والتي تشمل الفزع في أثناء الليل، أو زيادة عدد ساعات النوم عن المعدل الطبيعي، أو ظهور الكوابيس التي تجعله يستيقظ في حالة صراخ مستمر .

٢- تكرار رموز أو ألعاب ترمز للحادث المأساوي، وذلك بأن يكرر ضرب النار مثلاً باستخدام يديه أو عصا أو أيّ شيء يتوفر له، وربما يكرر ما سمعه دون تفسير وذلك في صورة لعب. ولكي نميز هذا النوع المرضي من اللعب عن اللعب الطبيعي سنجد الفرق في علامتين مميزتين، هما :

أ- أن هذا اللعب يمارسه الطفل دون شعور بالسعادة أو المتعة، فيمارسه وكأنه مجبر على تكراره، ولكن دون أي شعور بالبهجة التي غالباً ما ترتبط بحالة اللعب لدى الأطفال في الظروف العادية .

ب- أن هذا اللعب يأخذ شكلاً واحداً دون تنوع يميز لعب الأطفال في الظروف العادية، فنجدهم يكررون اللعبة نفسها ودون تغيير .

٣- الارتداد لممارسات سابقة، فيعاود ممارسة ذلك الفعل بعد أن توقف عنه، وهو ما يعبر به عن قلقه وتوتره .

مثل: عدم السيطرة على عملية الإخراج، فنجد الطفل بدأ يتقهقر أو يرجع إلى التبول اللاإرادي أو التبرز اللاإرادي في بعض الأحيان، بعد أن كان قد سيطر عليهما. وربما تظهر سلسلة أخرى من الأعراض بصورة نوعية تختلف من طفل لطفل، فقد يظهر على بعض الأطفال ما يلي :

- حالة من الشرود أو السرحان وكأنه ينظر إلى شيء ما، فهو هنا ربما يعاود مشاهدة الموقف مرة أخرى أو يتذكره وكأنه يشاهده على شاشة أمامه .

- حالة من الحركة المستمرة غير الهادفة، كأن يتحرك بدون هدف واضح للحركة، وهو ما يعبّر من خلال هذه الحركة إلى توتره، وعدم قدرته على ضبط نفسه .

ثانياً: أعراض ما بعد الصدمة لدى أطفال المدرسة :

تأخذ الاضطرابات اللاحقة على الصدمة لدى الأطفال الأكبر سناً عدة أشكال تشمل :

١- الاسترجاع البصري للأحداث: والمقصود به أن يعيد الطفل الأحداث التي تعرّض لها في شكل صور، يحدثك عن تفاصيلها أو يعبر عنها في صورة رسوم أو ألعاب يحددها هو .

٢- نسيان أو خلل في ترتيب الأحداث: فترى الطفل يروي لك ما حدث ولكن دون أيّ ترتيب، كما تجد أن هناك جزءاً من الأحداث مفقود فلم يعد يتذكره، وهي محاولة منه) غير واعية) للتخلص من بعض المشاهد أو الأفكار أو الأحداث التي لا يحتملها أو لا يرغب في الاحتفاظ بها .

٣- زيادة الخوف والتوتر :

وفيه يبدو الطفل وكأنه في حالة توقع لحدوث مكروه، فهو يتوقع دائماً أنه سوف يتعرض لخطر كالذي مر به، فيحدث له نوع من الحركات اللاإرادية، كما يخشى النوم بمفرده حتى لو كان سبق وقد تدرب عليها. فيخشى أن يكون بمفرده في أثناء النوم. وينسحب الخوف على أي نشاط يمكن أن يفعله بمفرده، وقد يصل الأمر في حالة الخوف الشديد إلى عدم قدرته على دخول الحمام بمفرده أو حتى التحرك لعدة خطوات بعيداً عن أسرته. ودائماً ما يلفت الطفل المحيطين به إلى أنه يشعر بأن مكروهاً سوف يقع كالذي حدث، ويربط بين ما حدث قبل الأزمة وما يراه الآن، بمعنى أنه إذا كان القصف حدث في أثناء تناول الطعام مع الأسرة، ففي كل مرة يبدأ في تناول الطعام يؤكد أن القصف ربما يحدث الآن، أو يعبر عن ذلك في صورة قلق يظهر من خلال ملامح وجهة أو رعشة يديه أو حتى في مشكلات البلع أو رفض تناول الطعام .

٤- تراجع في السلوك، أو الارتداد لممارسة كان الطفل قد تخلص منها، وتشمل :

١- الخوف من الظلام: فنجده يصرخ من الظلام أو يعبر عن ضيقه الشديد منه .

٢- الالتصاق بالوالدين أو من يمثلهم، فيربط حركته بحركتهم ولا يستطيع نهائياً الانفصال عنهم .

٣- مص الأصابع وفقدان التحكم في الإخراج بنفس الطريقة التي تحدثنا عنها لدى الأطفال الأصغر سناً .

٥- انخفاض القدرة على التركيز وبعض القدرات المتعلقة بالتحصيل الدراسي :

فنجد الطفل لا يستطيع التركيز أو الانتباه لشيء معين لبضع دقائق، ويظهر ذلك في تواصله مع المحيطين به، فقد تحدثه في موضوع ويدخل على موضوع آخر، أو تتحدث له، وعند سؤاله يظهر أنه كان مهتماً بأمر آخر، فيشرد فيه بذهنه .

٦- زيادة الغضب والعنف السلوكي واللفظي والإحباط :

وربما تظهر سلوكيات غير مقبولة سواء موجهة للآخرين أو موجهة لنفسه خاصة لدى المراهقين، فنجد الطفل يدخل في ثورات غضب قد يتلعثم فيها؛ فهو يثور لأتفه الأسباب أو حتى دون سبب، أما العنف فيظهر في سلوكيات من خلال كسر ما يقع تحت يده من أشياء أو قذفها، وضرب أقرانه من الأطفال، وأحياناً ضرب بعض أفراد أسرته. كذلك يظهر العنف اللفظي في صورة سبّ الأشخاص أو الأشياء، والذي يعبّر من خلاله عن حالة السخط التي تعم شخصيته ويظهر العنف نحو الذات أيضاً ويبدو في صورة تعمد إصابتها فيؤذي نفسه .

٧- الإحباط في صورة عدم رغبة في المشاركة أو غياب الاندماج مع الآخرين، والتعبير عن عدم جدوى أو فائدة أي تصرف يفعله له الآخرون .

٨- رفض الحدث وإنكاره :

تعدّ هذه العلامة من المؤثرات المهمة على مدى الضرر الذي يستشعره الطفل، فهو لا يحتمل مجرد تصديق أن هذا الحدث قد تم بالفعل فينكر ذلك تماماً، ولا يصدقه. وهذا الطفل تحديداً يحتاج لمضاعفة المجهود معه حتى نصل به إلى مجرد الاعتراف بأن الموقف حدث بالفعل .

إذا كانت هذه هي الأعراض التي تظهر في البداية كاستجابة تظهر على الطفل، فإن هناك العديد من الاضطرابات المرضية الأخرى التي قد تظهر لدى الطفل، ربما في وقت متأخر من حدوث الكارثة فنجد أن الطفل يدخل مثلاً في حالة من (الاكتئاب) مثله مثل الكبار والتي تظهر في صورة الأعراض التالية :

١- عدم القدرة على الاستمتاع بأيّ شيء .
٢- توقّع مكروه بصورة دائمة .
٣- عدم الرغبة في التحدث أو التواجد مع الآخرين .
٤- عدم الاهتمام بالنظافة الشخصية .
٥- عدم الرغبة في التعبير عما يعانيه أو الدخول في تواصل .
٦- نقص في الطاقة، فنجده خاملاً لا يحرك ساكناً ولا يرغب في أي نشاط .

الفصل الثالث
خصائص المراحل العمرية

مقدمة:

سوف نهتم خلال هذا الفصل بشرح مجالات النمو في كل مرحلة عمرية من المراحل التي نستهدف تقديم خدمة المساندة النفسية لها، وسوف يتم ذلك عبر مختلف مجالات النمو في كل مرحلة والتي تشمل النمو المعرفي – النمو الانفعالي– النمو الجسمي والإدراكي – النمو الاجتماعي – ..... الخ.

وتعد معرفة التغيرات التي تطرأ في كل مرحلة أساساً في فهم طبيعة شخصية الطفل فيما فيساعدنا ذلك فيما يلي:

أولا: معرفة الطريقة المثلي في التعامل مع الطفل في كل مرحلة بحسب احتياجات هذه المرحلة ومتطلباتها، فما يرضي طفل الخامسة قد لا يرضي طفل العاشرة، وما نحتاجه لإكساب طفل السادسة معلومة يختلف قطعا عن ذلك الذي نحتاجه لإكساب مراهق الثانية عشر، وهكذا فإن معرفتنا بالمرحلة العمرية وما يحدث فيها يمكننا من اختيار الأنسب.

ثانيا: عند إلمامنا بما يحدث لدي الأطفال بشكل طبيعي في كل مرحلة من مراحل النمو سوف يجعلنا نكتشف وبسهولة أي تغير يطرأ عن الشكل السوي أو النمو الطبيعي لدى الأطفال في هذه المرحلة.

فعندما نعرف أن الطفل يمكنه ضبط حاجته للإخراج في عمر عامين وتصبح مهارة كاملة في عمر ٣ سنوات (بحسب الفرص المتاحة له للتدريب) فإن ما يطرأ على هذا من تغير يمكننا رصده.

بمعنى آخر أن معرفتنا بالمنحني الطبيعي للنمو يجعلنا نكتشف بسهولة أي انحراف عن هذا المنحني.

ثالثا: يترتب بالطبع على الاكتشاف المبكر لأي انحراف سلوكي أو اضطراب لدى الطفل أيضا تدخل مبكر يكفل لنا حماية الطفل من تطور الاضطراب وعدم السيطرة عليه.

من هنا كانت أهمية معرفة خصائص المراحل العمرية لهؤلاء الأطفال

مراحل نمو الطفل وأهم الاحتياجات الخاصة بكل مرحلة

عند التعامل مع الطفل يجب علينا فهم طبيعة المرحلة التي يمر بها من حيث مظاهر النمو المختلفة لكل مرحلة والحاجات النفسية والمتطلبات المرتبطة بها، ثم التعرف على كيفية التعامل المناسب مع الطفل في كل مرحلة .

وإذا كنا نتحدث عن طفل المدرسة فسوف نتحدث على ثلاث مراحل تشمل:ـ

١- مرحلة الطفولة المبكرة: (وسوف نأخذ منها الجزء الثاني مرحلة الروضة من ٤ – ٦ سنوات (
٢- مرحلة الطفولة المتأخرة: وتبدأ من سن المدرسة ٦ سنوات إلى ١٢ سنة .
٣- مرحلة المراهقة: التي تبدأ من ١٢ – ١٦ سنة .

منظومة النمو في كل مرحلة:

- النمو الجسمي
- النمو العقلي
- النمو الاجتماعي

- الاحتياجات النفسية والوجدانية

وفي عرضنا لطبيعة كل مرحلة سوف نتبع منظومة النمو التي تظهر في الشكل التالي :

مرحلة الطفولة المبكرة:

أولا: النمو الجسمي ويشمل:

١- النمو الفسيولوجي والبدني :

- يشهد النمو الجسمي والفسيولوجي تغيرات في نسب أجزاء الجسم فالعظام والعضلات تنمو بمعدل أكثر تدرجا مع تحول في مظهر الطفل من شكل الرضيع إلى شكل الطفل الصغير وتقريبا في السنة الرابعة يبدأ الطفل في التخلص من الشكل المترهل للرضيع .
- وحين يصل الطفل إلى العام السادس تصبح نسبة أجزاء الجسم أقرب إلى نسب جسم الشخص الكبير .

٢- النمو الحسي والإدراكي :

- يظهر تحسن كبير في قدرة الطفل على الإبصار والتركيز البصري وحتى نهاية هذه المرحلة لا يكون الجهاز البصري قد اكتمل وقد يحتاج الطفل في هذه المرحلة إلى نظارة طبية .
- ونادرا ما يظهر لدى الأطفال مشكلات سمعية في هذه المرحلة .
- ومن الناحية الإدراكية فإن الطفل تزداد قدرته على التمييز بين المثيرات ويربط كل مثير بتسمية معينة فلكل مثير اسم .
- وفي بداية هذه المرحلة (سن الثالثة) يستجيب الطفل للمثير ككل وليس إلى أجزائه التفصيلية .

٣- النمو الحركي :

- يحدث تحسن كبير في الحركات الغليظة أو الكبيرة كالمشي والجري وغيرها .
- فهو يستطيع القفز وصعود السلم دون مساعدة وبناء المُكعبات، وفي سن الخامسة تبدأ الحركات الدقيقة في التحسن، ويبدأ في إطعام الذات بسهولة وارتداء الملابس ويمكنه التعامل بالقلم واستخدام المقص واستخدام الصلصال .
- ومع نهاية الخامسة يبدأ في استخدام الساقين بمهارة أعلى فيبدأ في الحجل (القفز برجل واحدة) وصعود درجتين من السلم معا في حركة واحدة والتسلق والتزحلق .

٤- النمو اللغوي :

- مع بداية العام الثالث من عمر الطفل يستطيع تكوين جمل بسيطة مكونة من أربع كلمات وتبدأ الجمل المركبة في الظهور التلقائي في كلام الطفل أي جملتين بسيطتين بينهما حرف واو.
- ويبدأ في طرح الجمل الاستفهامية وفهمها والإجابة عليها .
- فيفهم الطفل كيف ومتى ولماذا، وتتحسن هذه الجمل مع النمو من الثالثة حتى الخامسة .

ملحوظة: يتوقف النمو اللغوي للطفل في هذه المرحلة على توافر الفرص أمام الطفل لاكتساب اللغة مثل اهتمام الوالدين بالتحدث معه، وتوافر أقران في بيئته ودخوله دور الحضانة أو الروضة .

ثانيا: النمو المعرفي :

- تتسم مرحلة الروضة (٤ – ٧ سنوات) بما يسمى "التفكير الحدسي "فالطفل كما تذكر آمال صادق وفؤاد أبو حطب(الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين – مكتبة الأنجلو ١٩٩٤) يستطيع أن يذهب للحضانة ويعود منها ومع ذلك لا يستطيع رسم خريطة للطريق باستخدام المكعبات، وهو يفهم أن لديه أخا، ولكنه ينكر أن هذا الأخ له أخ وهو يسمى باللامقلوبية Irreversibility.
- وفي إصداره للأحكام فإنه يعتمد على بُعد واحد، فالأشخاص أكبر بحكم الطول مثلا .
- ويقاوم الطفل في هذه المرحلة أي نوع من التغيير حيث ما زال غير متحرر من تمركزه حول ذاته .

ثالثاً: النمو الاجتماعي:

- يتسع عالم الطفل في هذه المرحلة بزيادة الآخرين من عالمه، ويقل تعلقه بالوالدين ويحل محلها الاهتمام بالآخرين خاصة من الأطفال من مرحلته العمرية، ويميل إلى الالتزام بقواعد التواجد مع الأطفال الآخرين ويمكنه الاشتراك في الألعاب الجماعية، والإقبال على الآخرين من الصغار والمبادأة في إيجاد علاقات معهم .

- ويعتمد النمو الاجتماعي للطفل على مساعدة الأسرة له على الاستقلال عنها، وإتاحة الفرصة أمامه للاحتكاك بالأقران، وخلق مناخ يسمح له بالاندماج .

رابعاً: الاحتياجات النفسية للطفل في هذه المرحلة:

في هذه المرحلة يظهر لدى الطفل بعض الاحتياجات التي تخرج في أشكال سلوكية مختلفة منها:

١- الحاجة إلى لفت الانتباه:

فمع نهاية الثالثة يبدأ الطفل في رفض السلوكيات المرغوبة من أسرته إراديا لفتا للانتباه، ولا يعبأ كثيرا بالألم الذي يعقب مخالفة ما يريده الكبار، فحاجته للفت الانتباه أكبر من الإحساس بالألم . وهنا لا بد أن نراعي ذلك ونطمئنه، بل نتجاهل بعض التصرفات بعد أن نفهم أن الغرض منها هو لفت الانتباه ليس إلا .

٢- الحاجة إلى الاستقلال:

حيث يظهر الطفل في هذه المرحلة رغبة كبيرة في الاستقلال عن الوالدين أو عمن يقوم برعايته فيميل إلى فعل أنشطة الكبار بنفسه ولأن قدراته لم تكتمل بعد فهو يتأرجح بين الرغبة في الاستقلال والاعتمادية على الوالدين وأثناء الصراع بين الرغبتين تتطور مهاراته. ويحتاج الأمر منا إلى تفهم ذلك ومساعدته وتأمينه أثناء تأدية بعض الأنشطة ومتابعة بسيطة منا وتشجيع على زيادة عدد المهام التي يؤديها بمفرده .

أهم الملاحظات على هذه المرحلة :

- في هذه المرحلة تظهر بوادر طبيعة شخصية الطفل خلالها، مثل الطفل القيادي والطفل الانطوائي والطفل المسيطر...وهي ملامح تبدو على سلوكيات الطفل دون تدخل منا، وبالتالي فإذا رغبنا في تغيير بعض الجوانب الشخصية للطفل فعلينا البدء من هذه المرحلة من خلال خلق أجواء مناسبة .

فمثلا يمكننا إن أردنا إحداث تغيير في شخصية الطفل الانطوائية التي بدأت في البزوغ أن نخلق له أجواء نعمل فيها على دمجه بحيث تقل درجة انطوائيته ويتأقلم مع الآخرين ويعبر عن ذاته .

- تبدأ الفروق بين الجنسين في الاهتمامات خلال هذه المرحلة بفعل العوامل الثقافية فيبدأ الطفل الذكي بالاهتمام بالألعاب والمجالات الذكورية والطفلة الأنثى كذلك وذلك تبعا للشائع في الثقافة التي يتربى فيها الطفل .

- مكننا في هذه المرحلة إكساب الطفل معظم العادات والسلوكيات التي نرغب فيها من خلال اللعب والقصص والنموذج السلوكي إلى التعلم بالقدوة .

المرحلة الثانية الطفولة المتأخرة : (٦-١٢ سنة)

أولا: النمو الجسمي:

١- النمو الفسيولوجي والبدني:

- تتميز مرحلة الطفولة المتأخرة ببطء في النمو الجسمي. وتظهر الفروق في البنية الجسمية بين البنات والبنين فيبدو البنات أكثر طولا ويرجع ذلك إلى أن الذكور غالبا يبدءون البلوغ بعد البنات .

- ويكون نمو الجسم بطيئا في هذه المرحلة بمعدل ٨سم تقريبا في السنة وتؤثر العوامل النفسية في وزن الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة فحين يفشل الطفل في تكيفه الاجتماعي مع هذه المرحلة فإنه يميل للمبالغة في تناول الطعام كتعويض عن عدم التقبل الاجتماعي .

- ويفقد الطفل أسنانه اللبنية ومع نهاية هذه المرحلة العمرية تكون معظم أسنانه الثابتة قد ظهرت ما يغير شكل الفم ويزداد حجم الجزء الأسفل من الوجه وتختفي مظاهر عدم التناسب في الوجه .

- ويصبح الجذع أكثر نحافة ويزداد الصدر عرضا واتساعا وتصبح الأذرع والسيقان أكثر نحافة .

٢- النمو الحركي :

- تتحسن القدرات الحركية المختلفة للطفل في هذه المرحلة وتصبح الحركات الدقيقة أكثر تحديدا وتظهر بين الجنسين ليس فقط في مهارات اللعب ولكن في مستوى اكتمال هذه المهارات .
- حيث تتفوق البنات في المهارات العضلية الدقيقة كالرسم والخياطة والتريكو .
- بينما يتفوق الذكور في المهارات التي تشمل العضلات مثل لعب الكرة والجري وقفز الحواجز .
- ويتمكن الطفل بداية من سن ٦ سنوات من مهارات مساعدة الذات كالأكل والاستحمام واللبس ولا يحتاج إلى مساعدة كبيرة من الكبار .
- وتسهم المدرسة في دقة المهارات الحركية وسرعتها في الكتابة والرسم واستخدام الأدوات المختلفة بمهارة وتلقائية كالمقص والقيام بعمل الأشكال الهندسية المتداخلة .

٣- النمو اللغوي :

- يبدأ الطفل في الاعتماد الكامل على اللغة في التواصل مع الآخرين وذلك نتيجة لاتساع حصيلته اللغوية .
- فيقدر عدد الكلمات التي يعرفها الطفل الذي ينهي الصف الأول الابتدائي بما يقع بين ٢٠ ألف و٢٤ ألف كلمة أي بنسبة ٥% إلى ٦% من كلمات معجم عادي وحين يصل الطفل إلى نهاية المرحلة في الصف السادس الابتدائي يصل محصوله اللغوي إلى حوالي ٥٠ ألف كلمة .
- ويظهر لدى طفل السادسة القدرة على التحكم في كل أنواع أبنية الجمل، وضمن سن السادسة وحتى التاسعة أو العاشرة من العمر يتزايد طول الجمل التي يستخدمها .
- وبعد ذلك أي من عمر التاسعة يبدأ في استخدام الجمل الأقصر والأدق في التعبير عن المقصود .
- ويبدأ محتوى الكلام في البعد عن اللغة المتمركزة حول الذات فتظهر اللغة الاجتماعية.
- ويبدأ الطفل في هذه المرحلة باصطناع لغة مشتركة تشبه الشفرة بينه وبين أقرانه فيخلق من خلال اللغة عالما له ولأصدقائه بحيث لا يفهمها إلا هم، وفي ذلك رغبة في الاستقلال وتكوين عالم خاص بهم حيث يكون التركيز على جماعة الأقران، ونتيجة للتأرجح بين العامية والفصحى تظهر بعض مشكلات النحو .

ثانيا: النمو العقلي:

يعتمد النمو العقلي في هذه المرحلة على التفكير العياني أو المحسوس حيث يظهر قدر قليل جدا من التفكير التجريدي فهو يعتمد على ما يأتيه من الحواس، فالحقيقة بالنسبة له هي ما يراه ويسمعه. وتظهر عمليات الترتيب والتصنيف وإدراك العلاقات بين الأجزاء وبعضها البعض وبينها وبين الكل .

ويظهر لديه القدرة على المقلوبية reversibilityفحينما يعرف المعلومة يستطيع أن يعرف عكسها أو الوجه الآخر لها .

ويمكنه استخدام أكثر من بُعد في الحكم على الأشياء فحينما يميز بين الأشخاص يستطيع أن يميز بينهم بناء على العمر والطول والسن والنوع و .....

وثبات الحكم يبدأ في الظهور مع عمر الحادية عشرة أو أول دخول المرحلة التالية) مرحلة المراهقة.

وتظهر عملية معرفية في هذه المرحلة ذات أهمية كبيرة في النجاح والدراسة وهي عملية التسلسل seriat أي ترتيب الأشياء تبعا لنظام محدود كذلك يمكنه عكس الترتيب من الأصغر للأكبر والعكس .

كذلك يتمكن الطفل في هذه المرحلة من التصنيف وفقا لمفهوم الفئة class intension فيصنع بعض الموضوعات تحت فئة معينة نتيجة لعوامل مشتركة بينها ليميزها عن الموضوعات التي توضع في فئة أخرى .

ثالثاً: النمو الاجتماعي:

- تتميز هذه المرحلة بالتحول الواضح من الذاتي إلى الاجتماعية فيبدأ في الاهتمام الشديد بجماعة الأقران .
- فيتعلم المشاركة ويصبح أكثر اهتماما بواجباته تجاه الآخرين واحترام رغباتهم ومشاعرهم .
- وتزداد رغبة الطفل في تكوين الجماعات نتيجة لرغبته في اكتشاف العالم من خلال اللعب، ومن ثم فهو يبحث عن آخرين يشاركونه اللعب، ويخضع لقواعد اللعب .
- وتظهر الشللية التي يفضلها الطفل حتى أنه يقضي معها أكبر وقت ممكن .
- ويبذل الطفل مجهودا كبيرا رغبة منه في مسايرة معايير الجماعة فيتبع ما تستخدمه الجماعة من قوانين وقواعد تنظم العمل داخلها .
- وكذلك فإن جماعة الزمالة يكون لها قدر كبير في تشكيل سلوك الطفل وظهور بعض الاهتمامات لديه .
- وبالنسبة للجنس الآخر فإن الأطفال في هذه المرحلة يرفضون صحبة الجنس الآخر بدرجة قد تصل إلى العداء خاصة مع الاقتراب من البلوغ، ويفضل الأطفال اللعب والتعايش مع أقرانهم من نفس الجنس .
- وجدير بالذكر أن الشللية في هذه المرحلة تقتصر على اللعب المرح واللهو الآمن قدر الإمكان، فليس الهدف هو كسر القواعد كما يحدث في المراهقة، حيث تذكر آمال صادق وفؤاد أبو حطب أن هذه الشللية تتسم في ممارساتها بالبراءة .
- ويعتمد الطفل في هذه المرحلة على اللعب باعتباره مجالا للتنفس وكذلك مجالا لإثبات الذات وإظهار المهارات، كما أنه المجال الأمثل للتواجد مع الأقران .

رابعاً: الاحتياجات النفسية للطفل في هذه المرحلة:

١- المرغوبية الاجتماعية :

- حيث يميل الطفل في هذه المرحلة إلى الحصول على ثقة الجماعة والاعتراف بها خاصة جماعة الأقران ويعتبرها مجالا للتنفس عن ذاته، وقد يسلك بعض التصرفات السلبية كالكذب أو الغش للحصول على رضا الجماعة وقبولها .

٢- الحاجة إلى الإنجاز :

- حيث يسعى الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة إلى الإنجاز في أي من المجالات ويجتهد في التفوق فيها، ويجب على الأسرة مساعدته في ذلك؛ حيث إن عدم تميزه في أي مجال أو قدرته على الإنجاز قد يولد لديه بعض مشاعر النقص وعدم الكفاءة .
- وتبدو انفعالات الطفل في هذه المرحلة أكثر استقرارا؛ فلا تبدو عليه انفعالات عنيفة حيث يفهم أن الجماعة لن تقبلها ويستعيض عنها بطرق تعبيرية أخرى؛ فلا يدخل في ثورات غضب عنيفة .
- ويرغب الطفل في هذه المرحلة في تكوين صورة عن نفسه يلزم بها الآخرين، فيرفض بعض التدليل الذي تقدمه له الأسرة، يسعى لإثبات أنه قد كبر، فيرفض اسم الدلع، ويرفض بعض أشكال الحماية التي تفرضها عليه الأسرة .
- وإذا لم تتفهم الأسرة ذلك فقد يبالغ في محاولته للخروج من طور الطفولة فتظهر عليه بعض التصرفات المرفوضة من الأسرة .
- وتدور معظم مخاوف الطفل في هذه المرحلة حول مجتمع المدرسة؛ فهو يعاني من قلق الاختبار وقلق التحدث أمام الزملاء، وقلق الفشل الدراسي؛ وهو ما يتطلب معه مجهود من الأسرة والمدرسة في طمأنته وعدم التركيز على المهارات المدرسية فقط بحيث لا تتحول إلى مجال الاهتمام الوحيد .
- فهنا يمكننا اكتشاف ميول الطفل لبعض المواهب أو الألعاب التي قد يتميز فيها، ويمكن استخدامها في تحفيزه .

ومن المنطقي أن نناقش مع الطفل في هذه المرحلة وجود فروق فردية بين الأشخاص تجعله متفوقا في مجال قد لا يتقنه زميله، والعكس صحيح، ولهذه الفكرة أهمية كبيرة في تقبل الطفل لنفسه وحمايته من الإحباط الذي قد تسببه له المقارنات المستمرة التي تعقدها الأسرة أو معلمو المدرسة .

وجدير بالذكر أن هذه المرحلة يبنى فيها النسق القيمي والأخلاقي للطفل، حيث يقترب نظام الطفل الأخلاقي في نهاية هذه المرحلة من مستوى النظام الأخلاقي للراشد والأحكام القيمة لدى الطفل في هذه المرحلة تتسم بالالتزام؛ فهو حينما يتعلم أن الكذب سلوك خاطئ فهو يعرف أنه خاطئ في كل المواقف .

ومعظم ما يبدو على الطفل من كذب في هذه المرحلة هو عبارة عن نوع من التخيل، وليس كذبا بالمعنى المعروف.

وعند رغبتنا في تعديل سلوك ما في هذه المرحلة فيجب علينا أن نأخذ في اعتبارنا احتياجات الطفل وطبيعة المرحلة التي يمر بها، فبعد أن كنا نعتمد على الإثارة المادية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة فإن استخدام الإثارة المعنوية أو اللفظية تكون مفضلة أكثر في مرحلة الطفولة المتأخرة، كذلك يلاحظ مناسبة أسلوب العقاب مع تلك المرحلة، والذي يأخذ فيه العقاب البدني دورا أقل من العقاب المعنوي أو التعبير عن الرفض .

المرحلة الثالثة: مرحلة المراهقة :

تسمى هذه المرحلة عادة بـ"الميلاد الثاني"؛ نظرا لما يحدث فيها من تغيرات كبيرة تشمل كافة المجالات الخاصة بالنمو، وتكون هذه التغيرات ليست فقط كمية أي تزيد بعض المهارات أو الخصائص في الدرجة، ولكنها أيضا تغيرات كيفية، فتظهر خصائص وسمات مختلفة عما اعتدنا رؤيته في المراحل السابقة وذلك كما سنرى في مجالات النمو المختلفة :

أولا– النمو الجسمي :

- النمو الفسيولوجي والبدني :

بالنسبة للجسم في المراهقة فإن ما يحدث من تغيرات فيه يطلق عليها "انفجار النمو" حيث تتغير ملامح الجسم بصورة كاملة، ويحدث مع البلوغ أربعة تغيرات جسمية مهمة تشمل :

- حجم الجسم
- نسب أعضاء الجسم
- نمو الخصائص الجنسية الأولية
- نمو الخصائص الجنسية الثانوية .
- وتأتي التغيرات في حجم الجسم في الطول والوزن وأكبر زيادة في الطول تحدث قبيل البلوغ ويزداد الوزن المتكون من الدهون وزيادة أنسجة العظام والعضلات .
- ويصاحب التغير في حجم الجسم، تغير في نسب الحجم فتصل معظم أجزاء الجسم إلى حجمها الذي سوف تثبت عليه كالأنف والفم واليدين والقدمين .
- وتظهر بوضوح الفروق بين الجنسين في شكل الجسم؛ وهو ما قد يضيف نوعا من مشاعر الخجل والرفض .
- ومع التقدم في البلوغ تتضح أكثر الفروق بين الفتى والفتاة وذلك نتيجة لنمو الخصائص الجنسية الثانوية؛ فيظهر شعر العانة ثم شعر الإبط والوجه ثم شعر الجسم لدى الذكور كذلك يظهر تغير في الصوت ولكنه تغير لا يثبت كثيرًا .
- وفي الإناث تزداد الأرداف ويغمو الصدر ويزداد الصوت نعومة .

ثانياً: النمو الإدراكي والعقلي :

- يظهر في هذه المرحلة استخدام التفكير الذي يسمى بالتفكير باستخدام العمليات الصورية أو الشكلية Formal Operations، وهو ما يمكنه من التعامل مع العموميات المجردة من حوله كمفاهيم الحرية والعدالة .
- ولا يقتصر تفكيره في هذه المرحلة على السمات الخارجية للأشياء، بل يستطيع أيضًا إدراك السمات والخصائص الداخلية للأشياء .
- ويبدأ في التفكير على المستوى النظرية بدلا من الاقتصار على حدود الحقائق الملاحظة والواقع الظاهري للموقف، ويمكنه نمو التفكير المجرد لديه في هذه المرحلة من التمييز بين الأمور الحقيقية الواقعية التي تأتي له بها الحواس وبين الافتراضية .
- وتتميز هذه المرحلة بالتفكير التعميمي، وهو ما يتفق مع الأفكار المجردة لديه .

- وينمو لديه مفهوم الزمن، والقدرة على إدراك المستقبل ووضع أهداف طويلة المدى؛ فيذهب المراهق بتفكيره إلى ما يمكن أن تؤول إليه الأمور في المستقبل .

- ويطور المراهق في هذه المرحلة من العمر إستراتيجيات وطرقًا مختلفة للاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة بحيث يمكنه استدعاءها والاستفادة منها. فيعتمد على نوع من الترميز ليميز بعض المعلومات عن غيرها .

ثالثاً: النمو الاجتماعي:

- يعد تحقيق التوافق الاجتماعي أحد أهم مطالب النمو في مرحلة المراهقة، وتلعب الخبرات السابقة التي مر بها المراهق في فترات عمره السابقة دورًا كبيرًا في قدرته على تحقيق هذا التكييف والتوافق المنشود .

- وفي هذه المرحلة تأخذ جماعة الأقران الجانب الأكبر من اهتمام المراهق الذي يعتبرها المراهق الجماعة المرجعية بالنسبة له؛ فهو يقيم سلوكه تبعًا لقواعد هذه الجماعة وما يسود داخلها من قيم تحدد طرق التعامل مع المواقف المختلفة .

- وتظهر للمراهق شلة أو جماعة جديدة، وعلى الرغم من كبر حجم المجموعة في كثير من الأحيان فإن المراهق عادة ما يأخذ له صديقا يعتبره المقرب بالنسبة له وعادة ما يكون له نفس الخصائص ويكون من نفس الجنس .

- ويظهر في سلوك المراهق ما يدل على رغبته في تقمص دور أحد الكبار الذي يعتبره قدوة أو مثلا، ولكنه قد لا يعترف بذلك صراحة، بل يأخذ منه بعض السلوكيات التي يعتبرها دليلا على تشابهه معه، كالتدخين مثلا .

- كذلك فإن حياة المراهق وعلاقاته الاجتماعية واهتماماته تبدأ في التحول نحو الجنس الآخر، بعد أن كان رافضًا له في المرحلة السابقة، وهو ما يدفعه إلى الاهتمام بملبسه ومظهره الخارجي، بل إنه قد يبالغ في ذلك كما أنه في سبيل لفت نظر الجنس الآخر قد يبالغ في التصرفات التي يعتبرها نوعًا من الاستقلال مما يوقعه في صراعات مع الوالدين .

- وتظهر لدى المراهق أحاسيس مرهفة وميل للإخلاص في العطاء والمشاركة في تقديم الخدمات فتظهر لديه الميول الاجتماعية والمشاركة في النشاط المدرسي كذلك تظهر لديه الميول السياسية والاهتمام بها، أو الميول الأدبية؛ فيبدأ في التعبير الدءوب عن هذه الاهتمامات، وفي محاولته الالتزام بقواعد جماعته المرجعية التي ينتمي لها (الشلة أو الجماعة) أو الأقران فإنه يميل إلى التأثر بهم على مستوى الملبس، فيبدأ في ارتداء ملابس غريبة غير مألوفة، وذلك حتى يحصل على مشروعية القبول من الجماعة التي ينتمي لها .

- النمو الخلقي والقيمي :

- يظهر لدى المراهق حالة مختلفة عن المرحلة السابقة فيما يتعلق بالقيم والأخلاقيات؛ فهو غير مستعد لقبول العادات والأخلاقيات دون مناقشة؛ لذا يجب أن نسمح له بمناقشة القيم لفرضها عليه حتى يتمكن من تطبيقها حتى في حالة عدم وجودنا .

- أما الدين كبعد موجه للسلوك، فإنه يمر في هذه المرحلة بفترة يقظة كبيرة فيبدأ على المستوى العقلي بفحص بعض الأفكار الدينية، ونقدها ومحاولة فهم الأبعاد التي تقع خلفها .

- إلا أن ذلك النقد والتفكير لا يعطل الأداء، فيبدو أكثر جدية في الممارسة الخاصة بالعبادات باعتباره أصبح مسئولا عن العبادات ومكلفا بها. ويعتمد نجاح المراهق في التعامل مع القيم الأخلاقية والدينية في هذه المرحلة على الأساس الذي يتم وضعه من خلال الأسرة والمدرسة في المراحل السابقة . فإن كان لديه نظام قوي وثابت دخل به هذه المرحلة فإن ذلك سوف يكفل له مرورًا ناجحًا من تلك المرحلة وصراعاتها .

رابعاً: الحاجات النفسية للمراهقة :

١- الحاجة لبلوغ الكمال:

ففي هذه المرحلة يسعى المراهق سعيًا حثيثا للوصول إلى الكمال في كل شيء، ونتيجة لأنه يضع لنفسه معايير أخلاقية مرتفعة يصعب الوصول إليها فهو كثيرًا ما يشعر بالذنب والإثم، ذلك الذي يجعله دائمًا في حالة صراع بين الفعل واللافعل .

وهنا علينا أن نساعده على وضع قيم معقولة وتدريبه على الوسطية، وعلى تقبل القصور في بعض الجوانب وإخباره بأن ذلك ليس لكونه مقصرا، ولكن لأن الأفراد عادة لا يبلغون الكمال في كافة الجوانب .

٢- الحاجة للقبول من الجنس الآخر:

وهو ما يجعله يبالغ في الاهتمام بمظهره وإظهار بعض الممارسات التي يرفضها الأهل ويعتبرونها عصيانا وتمردا على طاعة ما يضعونه له من قيم وقواعد .

ولا بد هنا من تفهم ذلك ومساعدته على التركيز على عوامل أخرى أعمق من الشكل الخارجي وذلك عن طريق تدعيم خصائصه الأخرى .

٣- الحاجة إلى إثبات الذات وتوكيدها :

حيث يحارب المراهق في كل لحظة من أجل إثبات صحة آرائه ويتمسك بها لدرجة التعصب، ويعتبر أي نقد لفكرة من أفكاره هو نقد له شخصيًا، وكذلك يحتاج منا الأمر إلى تدريبه على الانفصال عن الفكرة، والمرونة في التعامل مع الأفكار والانتماءات المختلفة بحيث يتمكن من إحداث التوافق الفعال مع الآخرين .

الباب الثاني
الفصل الأول
إرشادات نظرية عامة في التعامل مع بعض الحالات الخاصة

إرشادات عامة في التعامل مع بعض الحالات الخاصة

يتضمن هذا الفصل جوانب هامة في التعامل مع الأطفال وأسرهم وتشمل:

١- المعلومات التي يجب أن تعرفها أسرة الطفل في الاجتماع الإرشادي المقترح للقاء بالأهل. وهل تلك المعلومات التي يوجهها المعلم والمشرف التربوي للأسرة حتى يسهل تعاملها مع الطفل وتعاونها مع المدرسة .

٢- المعلومات التي يجب أن يعرفها المدرسون وطبيعة دورهم؛ وفيها نطرح بعض المعلومات الأساسية للمعلمين ليسهل لهم القيام بدورهم .

٣- مقترحات خاصة بالحالات شديدة الاضطراب: وهنا نحذر من أن رغبتنا في المساعدة وتقديم العون للأطفال قد يضر بحالة الطفل، إذا كان الاضطراب الذي يعافيه مما يحتاج معه لتدخل متخصص، فنوضح فيها إن تحويل الحالة المختص قد يكون في هذه الحالات أفضل دور يمكن أن يقوم به .

٤- مقترحات خاصة بطفل المدرسة لأول مرة: وفيه نعرض لكيفية التعامل مع الطفل الذي يدخل المدرسة لأول مرة وهو ظرف يحمل ضغطا كبيرا في حد ذاته، ويزداد هذا الضغط نتيجة لظروف الحرب فينشد الطفل التواجد بدرجة أكبر مع الوالدين لينعم بالأمان .

٥- مقترحات خاصة بطلاب المدارس الثانوية: وفيها نضع بعض الإرشادات الخاصة بهؤلاء الطلاب نظرا لحساسية المرحلة التي يمرون بها وهي مرحلة المراهقة واحتياجها لطريقة مختلفة في التعامل عن المراحل السابقة .

إرشادات نظرية عامة في التعامل مع بعض الحالات الخاصة

أولا :ما هي المعلومات التي يجب أن تعرفها الأسر في الاجتماع الإرشادي؟

١- يجب أن يوضح للأسر أن أطفالهم يعانون من آثار نفسية للحروب حتى لو لم يعبروا عن ذلك بصورة لفظية وحتى لو لم يفقدوا شيئاً فيها، باعتبار الحرب حالة تخلف نوع من عدم الشعور بالأمان .

٢- الأعراض التي يمكن أن تظهر على أطفالهم نتيجة لضغط موقف الحرب عليهم وأشكال هذه الأعراض والاضطرابات باختلاف تنوعها .

٣- يجب أن يوضح للأسر أنه من الطبيعي أن تظهر هذه الأعراض، حيث إن الأطفال أقل قدرة على استيعاب موقف الحرب .

٤- يوضح للأسر أن قسماً كبيراً من قدرة الطفل على التفاعل من جديد والمرور بسلام من هذه الآثار يعتمد على مدى إشعاره بالحنان والأمان من قبل أسرته، دونه ملل من ذلك .

٥- يوضح للأسر أن تعاونها مع المدرسة في التواصل حول حالة الطفل جزء هام لتحسين حالته في وقت أسرع ويقلل من تأثير هذه العوامل على قدراته العقلية أو المدرسية .

٦- يجري تشجيع الأسر على تبادل خبراتهم أثناء الاجتماعات، بحيث يمكنهم الاستفادة من الخبرات العملية الخاصة بكل أسرة مع أطفالها .

ثانيا: ما هي المعلومات التي يجب أن يعرفها المدرسون وما هو دورهم؟

للمعلم رسالة تربوية هامة في حياة الأطفال لا يكاد يختلف عليها الأفراد أو الجماعات، ولكن في مثل هذه الظروف الاستثنائية يجب على المعلم معرفة ما يلي :

١- أن دوره هنا تحديداً وبصورة أكبر مما هو متعارف عليه هو دور أبوي أو أمومي يهدف إلى تشجيع الأطفال ودعمهم ومساعدتهم على تخطي أزماتهم، بإظهار الود والحميمية في التعامل، ولا يعني هذا التخلي عن الدور التربوي والقيادي، بل المواءمة بينها وخلق حالة من التوازن يعمّها الود وتسودها الروح الإنسانية .

٢- يجب على المعلم الاهتمام قدر الإمكان برصد حالة الأطفال أثناء عرضه المادة العلمية التي يقوم بتدريسها، ويكون عليه بعد ذلك كتابة ورقة مصغرة قبل الخروج من الفصل أو وقت الراحة، حول ما لاحظه على بعض الأطفال ووضعها في الملف الخاص بالطفل .

٣- يفضل لو استطاع معلمو الفصل أن يشتركوا في وضع بعض الأنشطة العملية التي تساعد الأطفال على تقبل المادة العلمية التي يتناولها بالشرح، وذلك مثلاً بمساعدة الأطفال في تمثيل دور البلد التي يشرح جغرافيتها أو توفير علمها أو الاستماع للنشيد الوطني لها. كل هذا في محاولة منه لمساعدة الأطفال على فهم الدرس بطريقة مقربة إليهم وكذلك تثبيت المعلومة عن طريق ربطها بموقف أو صورة ما .

ثالثا: المقترحات الخاصة بالحالات شديدة الاضطراب

قد يواجه المعلمون أو المرشدون الاجتماعيون حالات لأطفال شديدي الاضطرابات، فيجدون صعوبة في تحسين حالاتهم عن طريق ما سبق وعرضنا من ألعاب جماعية أو تنفيس انفعالي بأي طريقة أو آلية من الطرق التي عرضنا له. في هذه الحالة سوف يكون أمام المعلم عدة وسائل لتحسين حالة هذا الطفل، وتشمل :

١- تحويل الطفل إلى الأخصائي النفسي بالمدرسة، لعمل جلسات علاج فردي تقوم على مقابلة الطفل في جلسة فردية والمتابعة مع الأسرة .

٢- يمكن أيضاً تحويل الطفل إلى طبيب نفسي لعمل جلسات له أو كتابة أدوية ملائمة، لو كان الأمر يستحق ذلك. ولتحقيق هذا يمكن الاتفاق مع أطباء نفسيين أو أخصائيين نفسيين لبنانيين لاستقبال حالات هؤلاء الأطفال كنوع من الواجب الوطني نحو أبناء بلدهم، ويكون ذلك دون مقابل أو بمقابل رمزي حسبما ترتئي لكل مدرسة، ويمكن عمل جدول بأسماء المعالجين والاتفاق معهم على تحويل عدد من هؤلاء الأطفال إليهم بصورة دورية، وليكن لكل واحد منهم عدد من الحالات المجانية لا يأخذ أكثر منه .

٣- كما يمكن أن ينقلوا خبراتهم للأسر من خلال عقد ندوات مع أهالي الأطفال لتوضيح كيفية التعامل مع الأطفال في مثل هذه الظروف .

رابعا: طفل المدرسة الذي يدخل لأول مرة

من المتوقع أن نتعامل مع الطفل الذي يدخل المدرسة للمرة الأولى في حياته، سواء كان طفل الروضة أو في الفرقة الدراسية الأولى. ولهذا الطفل في الظروف العادية معاملة خاصة، حيث إنه لأول مرة يدخل هذا العالم، وهو يخشاه لما يحويه من غرابة وانفصال عن الأسرة، وكذلك ما يحويه الموقف من رسمية في العلاقات. فبعد أن تعوّد على تلبية رغباته في المنزل دون تأجيل، والقيام بالأشياء وفق رغباته الشخصية، بات مطالباً أن يستيقظ في موعد محدد، ويلتزم بقواعد معينة...

إذا كان ذلك يحدث في الظروف العادية وبصورة طبيعية، فإن كل ذلك يكون له طبيعة خاصة بعد التعرض لخبرة الحرب ورؤية الأحداث أو معايشتها، فيزداد معدل القلق والرفض، وزيادة التعلق بالأسرة ورفض الانفصال عنها، ويكون

على المعلم هنا دور أكبر في جذب هذا الطفل والتقليل من معدل توتره هذا، وذلك دون إرغام أو قهر، وذلك من خلال ما يلي:

١- أولاً لا بدّ من اتباع التدريج في إلزام الطفل بقواعد المدرسة، فمثلاً لا مانع من أن تحضر الأم مع الطفل في الأيام الأولى، وتجلس إلى جواره في الفصل أو تنتظره في فناء المدرسة، بحيث يمكنه رؤيتها من على بعد من خلال نافذة، فهذا يقلل الإحساس بالانفصال، ويؤهله للاطمئنان، فيندمج مع زملائه ومعلمة فصله.

٢- يفضل أن تتحلى الأيام الأولى للطفل في المدرسة بدرجة كبيرة من المتعة والإثارة، بحيث تجذب الطفل للتواجد في المدرسة، وذلك من خلال الأنشطة والمسابقات المختلفة، كالرسم والألعاب والقص واللصق والرسم على الوجه مثلاً، وغيرها .

٣- تشجيع الأطفال على العمل في جماعة، وإشراكهم في ألعاب مشتركة، بحيث يصبحون عامل جذب بالنسبة له .

٤- يمكن إلزام الطفل بواجبات مدرسية تشمل تلوين كراسة رسوم أو قص أشكال، وذلك كنوع من التدريب على التعهد بطلبات معينة فيما بعد.

٥- بعد ذلك يمكن أن نطبق على الطفل القواعد الأخرى التي نتبعها مع باقي الأطفال من طرق لمساعدته على التنفيس والتعبير عما تعرض له، والتعرف على ما قد يكون قد أصابه من اضطرابات نفسية نتيجة لخبرة الحرب .

٦- لا بد أن نوصل للطفل من خلال سلوكياتنا وتعبيرنا أننا متقبلون له، وأننا سوف نساعده على التخلص مما لديه، مع الأخذ في الاعتبار الحفاظ عليه ضد الحرج. فمثلاً الطفل الذي يعاني من عدم القدرة على ضبط التبول يمكن أن نساعده بأن نخرجه من الفصل بين كل حصة وأخرى للدخول للحمام، وإذا حدث وفقد التحكم رغماً عنه، فلا داعي لنهره أمام الأطفال، حتى لا يكره المدرسة ويثبت الموقف داخل ذهنه.

بوجه عام، كلما أشعرنا هذا الطفل بالأمان والحميمية التي تمنحها له الأسرة أو خلق جو يقارب الجو الأسرى الذي يبتعد عن الرسميات والقواعد الجامدة، كلما استطاع هذا الطفل التخلص من هذه الأعراض أسرع.

خامسا: طلاب المدارس الثانوية:

ينطبق على طلاب المدارس الثانوية ما ذكرناه آنفاً، ولكن مع الأخذ في الاعتبار الاستفادة من طاقاتهم، واحترام رغبتهم في الشعور بالمسؤولية، حيث تظهر في هذه المرحلة (مرحلة المراهقة) الحاجة إلى التقدير والشعور بأنه أصبح مثل الكبار، علماً بأن هذا لا يعني أنه ليس في حاجة إلى دعم ومساندة حتى لو عبّر عن غير ذلك...

ويمكن هنا أن نستفيد من هذه الرغبات أو الحاجات في تخفيف أعراضه، وذلك عن طريق تحويل الطالب من ضحية إلى مساند، فنوصل له أنه مسؤول معنا في إعادة تأهيل الأطفال الأصغر، فنطلب منه أن يبتكر طرقاً ويفكر في وسائل يوصل من خلالها للأطفال أفكاراً إيجابية، ويساعدهم على التخلص من القلق الذي يعانون منه.

ولا مانع أن نطلب منه أن يتولى عدداً من الأطفال الصغار في حصة النشاط كجزء من درجاته عليه، أو أن يشكل فريقاً، كل مجموعة منه مسؤولة عن رعاية هؤلاء الأطفال من ناحية، فبعضهم يساعدهم على تقبل المدرسة، وبعضهم يساعدهم في الأعمال الفنية، وهكذا.

كذلك يمكن في المدارس التي تستوعب الفرق المختلفة (الابتدائي – المتوسط - الثانوي) أن يرأس أطفال المدرسة من الفرق الثانوية مجموعات النشاط من الأطفال في الفرق الابتدائية والمتوسطة، بحيث يمكننا مساعدتهم جميعاً على تخطي أزماتهم، كذلك يمكننا بناء مجتمع متكامل داخل المدرسة، يعين فيه الكبير الصغير، وهو ما يساعد أيضاً على الشعور بالوحدة والتكامل .

الفصل الثاني
التدخلات العملية للتعامل مع أعراض ما بعد الحرب لدي أطفال المدرسة

مقدمة:

التدخلات العملية للتعامل مع أعراض ما بعد الحرب لدى أطفال المدرسة:

ونهدف من خلال هذا الفصل إلى إمداد المعلمين والقائمين بالعملية التربوية في المدرسة بأدوات منهجية وعملية يمكن أن يستخدمونها في التعامل مع الطلاب.

وهو بمثابة مشروع تطبيقي متكامل يتضمن ثلاثة أبعاد كبري هي:

- التواصل مع الأسرة الخاصة بكل طفل (عملياً)
- مساعدة المعلمين على استثارة انتباه الطفل ليظهر ما لديه من قدرات (عملياً)
- إتاحة الفرص للأطفال أو التلاميذ للتنفيس الانفعالي (عملياً) ولتطبيق ذلك المشروع يجب السعي لتضافر كل الجهود للخروج بالطفل من التأثيرات السلبية غير المرغوبة.

وقد طرحنا في هذا الصدد آليات تنفيذ كل بعد من أبعاد المشروع داخل المدرسة وخارجها.

الهدف العام من المشروع

مساعدة الأطفال على التفاعل المدرسي واستعادة قدراتهم اللازمة للتعليم وتقليل الآثار السلبية للأزمات التي تعرضوا لها.

الأهداف الفعلية

سوف نهدف من خلال عدة إجراءات إلى تحقيق ما يلي:

١- محاولة التواصل مع الأسرة الخاصة بكل طفل لوضع صورة متكاملة عن الطفل والتعاون بين أسرته والهيئة التعليمية لدراسته من أجل مساعدته على التكيف مع الظروف الجديدة .

٢- مساعدة المعلمين والهيئة المدرسية على وضع طريقة لمساعدة الأطفال على التنفيس عما عانوه وإخراجه من داخلهم حتى يتخففوا من تأثيره .

٣- مساعدة المعلمين على إتباع طرق تربوية لاستثارة انتباه الأطفال ليظهروا ما لديهم من قدرات عقلية التي ربما تأثرت نتيجة لظروف الحرب الضاغطة التي تعرضوا لها .

آليات تحقيق هذه الأهداف تحديد خطوات تنفيذها

أولاً: التواصل مع الأسرة الخاصة بكل طفل :

وذلك لوضع صورة متكاملة عنه وكيفية التعاون بين أسرته والهيئة التعليمية لمدرسته من أجل مساعدته على التكيف مع الظروف الجديدة، وذلك بما يلي:

١- إرسال استمارات إلى أسرة كل طفل على عنوانه، تحتوي عدداً من الأسئلة حول طبيعة ما تعرض له الطفل وظروفه وأعراضه فترة الحرب، مع وضع كافة الملاحظات التي تراها الأسرة هامة. ويجب على المدرسة الإلمام بها. ويكون ذلك قبل بداية العام الدراسي بأسبوعين مثلاً، وعلى كل أسرة ملء هذه الاستمارة وإرسالها للمدرسة نظراً لاحتمالية تغير عناوين بعض الأطفال نتيجة للحرب. ويمكن عمل إعلان عام في وسائل الإعلام يقول إنه على كل أسرة لها طفل بمدرسة التوجه للمدرسة للحصول على استمارة جمع البيانات عن الطفل لمساعدتهم على التحصيل الدراسي، ووضع ملف لتطور حالة الطفل يساعد على التدخل الإرشادي أو العلاجي أولاً بأول .

ويمكن استخدام الاستمارة التالية كنموذج مقترح يمكن تعديلها أو الإضافة عليها.

ملـف الطفـل

نموذج استمارة بيانات الطفل (للأسر)

تهدف المدرسة لجمع بيانات عن الأطفال لتفهّم حالاتهم ومساعدتهم على الخروج منها. ولذلك نرجو منك تحرّي الدقة في ملء البيانات التالية :

١- اسم الطفل: .....

٢- تاريخ ميلاده: .....

٣- عدد أفراد الأسرة: .....

٤- عدد الإخوة: الذكور ( ) الإناث ( )

٥- الترتيب الميلادي للطفل: .....

٦- تعليم الأم: .....

٧- تعليم الأب: .....

٨- عمل الأم: .....

٩- عمل الأب: .....

١٠- عنوان السكن.....

١١- هل يعاني الطفل من أي مرض أو مشكلات قبل الحرب؟ اذكر إن وجد :

.....

١٢- هل وقعت أي خسائر شخصية للأسرة أثناء الحرب؟

- فقد أحد أفرادها
- فقد المنزل
- النزوح لمكان آخر

اشرح ما حدث بالتفصيل؟.....

كيف كانت استجابة الطفل لما رأى وسمع؟.....

١٣- ماذا تحدثت إلى ابنك عن الحرب؟ .....

١٤- هل حدث تغير في سلوك ابنك أو شخصيته؟ (نعم) (لا) إذا كانت الإجابة نعم اشرح ذلك تفصيلياً

.....

١٥- كيف كانت استجابتك أو طريقتك في التعامل مع ما طرأ على سلوك ابنك أو شخصيته من تغيير؟

.....

١٦- إذا كان لديك أي معلومات أخرى ترى ضرورة إضافتها حول شخصية ابنك أو أي شيء يتعلق بالأسرة اذكره هنا.....

٢- عقد مجلس آباء يطرحون فيه ما لدى الطفل، ويمكن أن يخصص هذا الاجتماع لعدة أغراض متشابكة تشمل:

أ- التأكد من البيانات التي حصلنا عليها من الاستمارة الخاصة بالطفل، فمثلاً قد تذكر أمّ أن طفلها نجا ولكن أخاه فقد، فيتم الاستفسار من الأم حول كيفية وقوع الحدث وهل كان الطفل موجوداً، وكيف تم تفسير هذا الحادث له وتفاصيل أخرى ربما لم تشملها الاستمارة.

ب- يمكن من خلال هذا الاجتماع عمل ندوة لأولياء الأمور تتضمن معلومات تثقيفية حول أعراض الأطفال التي يمكن أن تظهر عليهم نتيجة لما تعرضوا له، كذلك بعض الإرشادات التي يجب على الأسرة اتباعها في بعض حالات الأطفال مثال: التبول اللاإرادي أو مظاهر العنف والعدوان في سلوكيات الطفل أو التلعثم (التأتأة) أو غيرها...

ج- الاتفاق على صيغة أو آلية للتفاعل مع الأسرة، مثل الاتفاق على ملف أسبوعي أو شهري تقدمه أسر الأطفال الذين يعانون من أعراض شديدة، تعرض فيه الأسرة لتطور حالة الطفل، وبالعكس فإن المدرسة أيضاً ترسل تقريراً أسبوعياً كما يظهر على الطفل خلال الأسبوع أو الشهر، وذلك من خلال تجميع ملاحظات المدرسين أو الأخصائي النفسي، أو مسؤول الصف.

د- وضع خطة تشمل اجتماعاً في نهاية كل شهر مع الآباء، يعرض مشكلاتهم مع أطفالهم وتبادل الخبرات فيما بينهم، فتحكي أمّ مثلاً كيف ساعدت ابنها ليخرج من مشكلته وكيف أن تصرفات محددة منها أو وضعه في ظرف ما حسنت من أدائه بالإضافة إلى ما يضيفه المعلمون أو الأخصائيون الاجتماعيون. ولكي نكمل الصورة حول كل طفل علينا ألا نغفل التعرف على حالة الأطفال من خلال أنفسهم وذلك من خلال الأسبوع المدرسي الأول للدراسة أو قبل ذلك بأسبوع، عن طريق مناقشة جماعية مع أطفال كل فصل ليروا خبراتهم عن الحرب، أو طلب رسوم عامة من الأطفال يعبرون فيها عما يشاهدونه.

هـ- تجمع البيانات المستقاة من الأسرة إلى جانب رسوم الأطفال أو تعبيراتهم، ويمكن وضع سجلّ خاص بكل طفل يشمل كافة المعلومات عنه. ويمكن الرجوع للبيانات بشكل دوري لمتابعة حالة الطفل والتعرض على نتائج التدخل اللاحق عن حالة الطفل.

وقبل أن ننتقل إلى آليات تحقيق الهدف الثاني، نودّ وضع تحديد لما نقصده (بملف الطفل).

ملف الطفل

يتم عمله لكل طفل ويوضع فيه كل ما يخص الطفل بداية من الاستمارة التي تملؤها الأسرة، كذلك يتم وضع التقارير الأسبوعية التي ترسلها الأسرة داخل الملف. ويتضمن الملف أيضاً الملاحظات التي يكتبها المعلم عن الطفل، فمثلاً: دخل معلم الحصة الثالثة فوجد الطفل (فلان) في حالة شرود وتكرر ذلك لمدة يومين، فعلى المعلم وضع ملاحظته داخل ملف الطفل وعليه كذلك إبلاغ مسئول الصف أو الأخصائي الاجتماعي أو النفسي- ليحدد ما إذا كانت حالة الطفل يمكن التدخل معها عن طريق برامج إرشادية للأسرة مع المدرسة أم أنه يجب التعامل معه بطريقة علاجية عن طريق إحالته إلى طبيب نفسي أو عمل جلسات علاجية مع الأخصائي النفسي المدرسي بصورة فردية ولهذا الملف أيضا أهمية في تحديد مدى نجاح التدخل أو الطريقة التي يتبعها الأخصائي في التعامل مع حالة الطفل حتى يمكنه تعديلها إن لم تؤتي بثمارها في تعديل حالة الطفل وتقليل أعراضه.

ثانياً: مساعدة المعلمين على استثارة انتباه الطفل ليظهر ما لديه من قدرات

ونعني الاجتهاد في محاولة تقليل أثر التوتر والقلق الناتج عن تعرض الطفل لخبرة الحرب على قدراته، ضمن المتعارف عليه أن انتباه الطفل وتركيزه أحد أكثر القدرات تأثراً نتيجة لحالته الانفعالية المترتبة على تعرضه لموقف ضاغط، كموقف الحرب. ولذلك فمن المتوقع أن نجد الأطفال يعانون من درجة من تشتت الانتباه أو الشرود أثناء اليوم الدراسي.

ولتقليل ذلك أو تفاديه يمكن إتباع التالي :

١- على مستوى الحصة الأولى :

باعتبارها أول احتكاك للطفل باليوم الدراسي، فيها يطلب من المعلم أن يبدأ ولمدة عشر دقائق بسؤال الأطفال عن يومهم أو حالتهم الانفعالية أو المزاجية أو كيف وصلوا للمدرسة. ويتبادل المعلم الحديث مع الأطفال بإخبارهم عن ظروفه وكيف حضر للمدرسة أو عن الطرق التي سلكها للمدرسة، على أن يجتهد وبطريقة غير مباشرة في دفع كل طالب للتحدث بالتبادل، بحيث من لم يتحدث اليوم يدخل في حوار غداً ويروي لنا عن ليلته الماضية أو كيف جهز ملابسه أو ...

الهدف من ذلك يتضمن :

يهدف من خلال هذه الدقائق إلى هدفين مرتبين حسب أهميتها وهما:

- إشعار الطفل أو التلميذ بالحميمية في العلاقة مع المعلم أو المعلمة، بحيث يقل توتره من الموقف التعليمي وتخيلاته عن انخفاض قدرته، وبالتالي غضب المعلمين منه .
- مساعدته على التعبير عن الذات والاندماج مع الآخرين، حيث قد يكون بين الأطفال من هو انطوائي أو انخفضت ثقته بنفسه نتيجة لما عاناه أو لديه صعوبة في التعبير عن نفسه أمام الآخرين .

ثم إن هذه الدقائق ربما تساعد على تنشيط ذهن الطفل ورغبته في التعبير عن ذاته والتجهيز لها.

٢- الحصص التعليمية الأخرى :

يفضل البدء بسؤال تنشيطي علمي بسيط حول موضوع الدرس الجديد ومحاولة جمع بعض تصورات الأطفال حول الإجابة عليه قبل تدريسه ثم يبدأ المعلم في شرح الدرس.

مثال: يسأل المعلم قبل شرح الدرس المتعلق بالفرق بين الحيوانات الأليفة والحيوانات الشرسة: ما هي الحيوانات الأليفة؟ ويترك للأطفال التخمين، ثم يبدأ في شرح الموضوع مع مراعاة ما يلي:

- شرود بعض الأطفال، فربما يكونون في حالة استرجاع بصري لحادث .
- قلق بعض الأطفال، خوفاً من قصف المدرسة أو إصابته .
- محاولة إشراك التلاميذ في النقاش بدلاً من التوقف عند حدّ شرح المادة، أي الاعتماد على الأسلوب التفاعلي من خلال الأسئلة، وذلك بأن يتم تقسيم الموضوع الدراسي إلى عدة أسئلة تكون إجابة كل منها معلومة في الدرس، وفي نهاية اليوم يمكن وضع حصة مصغرة، ولتكن مدتها نصف ساعة يقوم فيها الأطفال بنشاط حرّ يعبّرون فيه عما تعلموه خلال اليوم، مثلاً يرسمون شجرة بها أوراق وتساعدهم المعلمة في كتابة معلومات الدرس على أوراق الشجرة .

مثلاً: شجرة للحيوانات الأليفة، وأخرى للحيوانات غير الأليفة في مثالنا السابق.

ويكتب كل طفل أو يذكر تعليقاً عن اليوم، ما فهمه وما يفسر عليه فهمه، ولا مانع من أن يقوم الأطفال بالتبادل برواية قصة أو تلخيص موضوع حصة.

- ولهذا الإجراء هدف تحصيلي، بحيث نتأكد من وصول المعلومة للطفل بطريقة شيقة.
- كما أن لها هدفاً تنفيسياً، حيث ينفّس الطفل من خلال الرواية أو النشاط في نهاية اليوم يخرج به عن أي موقف ضايقه أو أي معلومة فقدت منه.

٣- على مستوى نهاية الأسبوع :

في النصف الأول من آخر يوم في الأسبوع، يتم فيه تدريس المواد الدراسية بشكل عادي، والنصف الآخر (أو الحصة الأخيرة إن لم يتسنّ نصف اليوم بأكمله (يتم فيها الاتفاق مع الأطفال على عمل معين ينجزونه، ويكون هذا الموضوع ناتجاً من تفكيرهم ومقترحاتهم، فلنعلن مثلاً أن هذا الفصل خلال هذا الأسبوع سوف يقوم بعمل لوحة تعبر عن شيء إيجابي حدث خلال هذا الأسبوع، وذلك بتوجيه بسيط عن المعلمة) لتحديد معنى كلمة إيجابي) فليكن مثلاً رسم شجرة تثمر بدلاً من الأشجار المقطوعة أو التي فقدت ثمارها. أو الاتفاق على رسم منزل كبير تم بناؤه، أو تلميذ يستذكر دروسه،

أو كارت يرسل للآخرين يخبرهم بأن أبناء لبنان بخير، أو صورة لدعوة السياح للعودة للبنان أو عمل مجسم من الصلصال يمثل تجمع بين الأفراد لتحقيق هدف.

وتقوم المعلمة بالتعليق على ذلك، ليس فقط لإيصال قيمة إمكانية العودة مرة أخرى والتكيف مع ما طرأ، ولكن أيضاً لتوصيل إحساس بالإيجابية لدى الأطفال، وأن لكل واحد منهم دوراً في الحياة، وأن الحياة مازال لها معنى، ويمكن البقاء فيها مهما بدت الظروف صعبة الآن. ويمكن تقسيم العمل على عدة أسابيع بحيث يكون موضوع الشهر. وفي نهاية الشهر نعلن عن جوائز للفصل الذي اتسمت أعماله بالجوانب المشرقة والإيجابية أكثر، كذلك تحصل الفصول الأخرى على جوائز للإنجاز، ولكن أقل قليلاً من الفصل المتفوق، وذلك للتشجيع.

وعلى الرغم من أهمية هذه الإجراءات في لفت انتباه الطفل وتخفيف حالة الشرود التي يدخل فيها، فإنها أيضاً تساعد الطفل على التنفيس عن حالته الانفعالية التي تؤدي لتشتت الانتباه .

ثالثاً: إتاحة الفرصة للأطفال أو التلاميذ للتنفيس الانفعالي : يتم ذلك على مرحلتين:

المرحلة الأولى: (ما قبل بداية الدراسة)

وذلك من خلال دعوة التلاميذ للمدارس قبل البداية الرسمية لها بأسبوعين أو بحدّ أدنى أسبوع، وفي تلك الفترة يطلب من الأطفال الاشتراك في تنظيم المدرسة، وإعادة إعمارها، ويبدأ ذلك بأن يتم تجميع أطفال المدرسة ويقسمون إلى فرق مختلفة يشرف عليها معلم أو معلمة، يتم تقسيمها تبعاً لظروف كل مدرسة إما فصولاً أو فرقاً مدرسية أو... على أن يطلب من كل مجموعة مهمة محددة تتناسب مع قدرات الأطفال، مثلاً تنظيف الفصول، ترتيب المقاعد، زراعة الأشجار داخل فناء المدرسة، عمل لوحات الفصل المساعدة في أعمال النجارة أو...

ونهدف من ذلك إلى عدة أهداف تشمل :

١- إيجاد وسيلة للأطفال لتنفيس غضبهم وقلقهم في عمل مفيد .

٢- إيجاد طريقة لإيجادهم في المدرسة والتعوّد على الانفصال عن الأسرة في عمل ممتع ولا يحمل نفس القدر من الالتزام الذي يجب عليه الخضوع له أثناء اليوم الدراسي العادي .

أي أن هذا الإجراء يساعد على تقليل الرهبة من المدرسة بوصفها إطاراً إلزامياً يحرمه من أسرته التي ازداد تعلقه بها نتيجة لظروف الحرب.

٣-يرفع هذا الإجراء من الروح المعنوية للطفل، حيث يشعر منه ضمناً أنه يمكن أن يفعل شيء وأنه يمكنه إصلاح ما أفسدته ظروف الحرب، ويمكن أن يتحول من موقع المفعول به إلى موقع الفاعل .

٤-يساعد هذا الإجراء كثيراً من الأطفال على الاندماج مع الآخرين، وهو ما يخلقه جو العمل مع فريق لتحقيق هدف واحد .

ويمكن أن تستمر هذه المجموعات أيضا أثناء الدراسة، فتبقى مجموعة الزراعة مسؤولة عن زرع المدرسة، وتبقى مجموعة اللوحات التعليمية كذلك وغيرها من المجموعات، ويتم عمل تجمّع شهري أو نصف شهرين بينهم للاستقرار في العمل وذلك لتحقيق نفس المكاسب النفسية التي هدفنا إليها.

المرحلة الثانية: أثناء المدرسة

بعد أن قمنا قبل الدراسة بإتاحة فرصة للأطفال بتفريغ شحنة القلق والغضب المختزنة لديه، نأخذ إجراءات أخرى لتحقيق ذلك أثناء الدراسة وهو ما يمكن عمله من خلال عدة آليات تشمل: الرسم – اللعب – السيكودراما

تلك الآليات لا تستخدم فقط بهدف التنفيس الانفعالي أو النفسي، بل تهدف أيضاً إلى تشخيص بعض الحالات والتعرف عليها من خلال الرسم أو اللعب أو السيكودراما، بل يمكن أن تسهم هذه الألياف أيضاً في عملية التدخل أو علاج بعض الأعراض.

وسوف نتناول كلاً منها بشيء من التفصيل لتوضيح دوره وتحديد الإجراءات التي تمكننا من الاستفادة منه كما يجب.

أولاً: الرسم

يذكر صفوت فرج أن الطفل، وخاصة في المراحل العمرية المبكرة، يستثمر إمكاناته وقدراته ونشاطه في اللعب والرسم بوصفها الأنشطة التلقائية الحرة التي يعبر بها عن نفسه .

وتعدّ الرسوم الحرة للأطفال أكثر المجالات إتاحة للتعبير عن الكثير من خصائصهم النفسية، سواء قدراتهم أو سماتهم الشخصية أو قيمهم، ويكفي أن نجلس إلى طفل "يحكي" لنا قصة رسمه وما تفعله شخصياته، لنتبين أنه ينقل عالمه كله إلى الورقة، ويستخدم قلمه ليتجاوز به كل الحدود، الممكنة وغير الممكنة .

فيعبّر من خلال رسومه عن سعادته وحزنه، عمّا يعانيه من عجز وما يشعر به من تفوق، وقبل ذلك عما يملكه من قدرات ومهارات، لا في القدرة والمهارة الفنية في الرسم، ولكن في القدرة على إدراك المفاهيم العقلية الأساسية وتكوين المفاهيم الجديدة للتعبير عن موضوعه .

ورسوم الأطفال شكل من أشكال الأداء النفسي له خصائص متعددة، سواء في المجال المعرفي (العقلي)، أو المجال المزاجي (الوجداني)، وقد تستخدم الرسوم في قياس الذكاء والقدرات، وقد نستخدمها في قياس سمات الشخصية والصراعات أو في قياس قيم الطفل واتجاهاته .

ولتحقيق الفائدة المطلوبة من الرسم نتبع التالي :

١- نعطي كل طفل ورقة ونترك أمامه عدة أقلام وندعه يختار القلم الذي يرغب في استعماله، شريطة أن تكون الأقلام مبراة بدرجات مختلفة، فنضع قلماً ذا سُمك كبير، وقلماً آخر ذا سُمك أو سنّ رفيع وقلماً آخر بينهما.. لماذا؟

اختيار الطفل لسُمك القلم يعبّر عن أمور نفسية لديه، فمثلاً استخدام قلم رفيع وعدم الضغط عليه بحيث تظهر الخطوط باهتة وضعيفة، ربما يعبر عن انخفاض الطاقة لدى الطفل أو عدم شعوره بالأمان أو قلة الرغبة في التعبير عن الذات أو ...

٢- حاول أن تراقب الطفل وهو يرسم، دون أن يلتفت لذلك أو يلحظك.. ما أهمية ذلك؟

سوف يظهر على وجه الطفل بعض العلامات عند رسم بعض الموضوعات، مما قد يعطي لك فكرة عما يفكر فيه، مثلاً تردد الطفل في رسم الذراعين أو توقفه عند رسمها أو رسمها ومحوها عدة مرات أو إظهار حركات لها إرادية أثناء رسمها، قد يعبّر عن بعض الأمور التي تسبب له قلقاً وتتعلق بالذراعين، فقد يعبّر بعد ذلك عن مشهد رآه لشخص مبتور الذراعين أو أصيب في إحدى ذراعيه، وهو ما يخشى أن يرسمه فيراه من صنع يديه وربما يجد مشكلة في التواصل مع الآخرين وهو ما يُصعب رسم الذراعين حيث يعد أحد وسائل التواصل مع الآخرين

٣- حاول في نهاية الرسم السؤال عما رسمه الطفل والاستفسار عنه، فقد يرسم الطفل بعض الموضوعات التي لا تفهمها أو تراها تحتاج إلى تفسير ما، فلا مانع من سؤاله عن ذلك، فقد يرسم طفلاً دون رأس، وعند سؤاله يقول إن هذا هو حال الطفل بعد القصف، وهو ما يشير إلى مدى تركيز الصور التي رآها في ذهنه أو حتى تخيلها إن لم يكن رآها .

٤- وقد يكون من المفيد أن نطلب منه أن يحكي قصة عن الأشخاص والموضوعات في رسمه، فهذا قد يساعدنا على الفهم بدرجة أدق، كما أن ذلك يسمح للطفل نفسه بالتعبير اللفظي عما رأى، وربما يظهر لك بعض الخلط في أفكاره التي يعرضها تعليقاً على رسمه .

أمثلة عملية لرسوم الأطفال

يعبّر الطفل من خلال رسمه عن الموضوعات التي تقلقه، فمثلاً :

رسم طفل رسماً عبّر به عن أفراد أسرته تشمل أمه وأباه وأخاه، وعند ملاحظة رسم الأم كان أبرز جزء لديها هو الأسنان، حيث رسمها بارزة خارج الفم وتبدو وكأنها لكائن غير بشري. وعند سؤاله عن أمه لم يعبر عن أي شيء، بل أكد أنها تعامله بحنو وعطف، وعند التحدث مع الأم اتضح أن وسيلة العقاب التي تستخدمها الأم في عقاب الطفل عن أخطائه هي "العض"، وهو ما دفعه إلى تضخيم الأسنان والتعبير عن ذلك بتشويه منظرها عند رسمها .

وعبّر طفل آخر من خلال رسمه عن قلقه من معلم مادة اللغة الإنجليزية التي كان يعاني الطفل من انخفاض درجاته فيها وسوء علاقته بمعلمها، فقام الطفل برسم طفل صغير داخل قفص حديدي أشبه بأقفاص الحيوانات، ويتدلى من الطفل ما يشبه الذيل (رغم أن الطفل عبر عن أن ذلك جزء من ملابسه) ويوجد على باب القفص سلسلة عبارة عن حروف إنجليزية متدلية .

ويقف أمام القفص رجل يمسك بيده كرباجاً، ويعلق الطفل على أنه لا يستخدمه للضرب ولكن لإخافته أو كما قال "هو ده ما بيضربش بيه عشان ده بنضرب بيه الأسود، لكن ده بني آدم بس بيخوفه بيه، بس مش ها يضربه خالص خالص، عشان كمان حرام نضرب بني آدم زي الحيوان ."..

من خلال هذا الرسم عبّر الطفل عن عدة اتجاهات داخلية (علماً بأن ذلك لم يتم الحصول عليه من خلال الرسم فقط) وهي :

عبّر الطفل عن شعوره بالدونيّة نحو ذاته، فهو يرى نفسه أشبه بالحيوان "عبّر الطفل لفظياً في الجلسة الثانية عن أنه يعرف أن من لا يفهم اللغة الإنجليزية هو حيوان، وتعجب من أنه كيف يكون هو بني آدم ومع ذلك لا يفهم اللغة الإنجليزية ؟."

عبّر الطفل عن قلقه من المعلم ورؤيته له بوصفه مدرب قاس يحبس الطفل الذي لا يستذكر دروسه داخل قفص ويهدد أمنه. ومن هنا يتضح دور الرسم كوسيلة من وسائل فهم الطفل وتعبيره عن احتياجاته وقيمه ومشاعره المختلفة .

وعند استخدامك للرسم في التفسير والفهم احذر ما يلي :

١- أن تعتمد على الرسم وحده كوسيلة لفهم حالة الطفل والتعرف على معاناته، فعلى الرغم من أهمية وسيلة الرسم كوسيلة لفهم حالة الطفل والتعرف على ما يجول بخاطره، فإنها وحدها ليست كافية، كما أنه لا بد من التحدث معه حول رسمه، لأن ذلك يشعره بالاهتمام، كما أنه يساعدك في التفسير .

٢- لا تتسرع في تفسير رسومات الطفل بما تفهمه أنت، فربما يكون تفسيرك هو ما تشعر به أنت، وليس ما يقصد الطفل توصيله، لذا فإن سؤاله عما رسم أمر في غاية الأهمية .

٣- حاول الحفاظ على رسومات الطفل في كل المراحل، حيث إن اختلاف رسوماته، وتوجهاتها يساعدك في التعرف على تطور حالة الطفل، ومدى نجاح ما تقوم به من تدخّل في تحسين الحالة النفسية للطفل، وهو ما سوف ينعكس على رسومه، فتجده يرسم رسوماً أكثر تنظيماً، وتشعر فيها بالأمان أكثر .

٤- حافظ على هدوئك، فلا تظهر أيّ تعبيرات لا لفظية ولا غير لفظية في أثناء رسم الطفل، حتى يجعل من رسمه مجالاً حراً ينفّس فيه عما بداخله هو دون تدخّل، مما بدا الرسم غريباً .

٥- تذكر ألا تطلب من الطفل رسم وحدة أو شكل معين، فاختياره الموضوع أو وحدة معينة أيضاً جزء من نفسيته وما يريد إخراجه من داخله .

إذا كان الأمر كذلك، فما هو دور الرسم في العلاج أو تعديل خبرات الطفل الانفعالية السيئة؟ كيف يتم ذلك؟

بداية لا بد أن نؤكد أن مجرد رسم الطفل وتعبيره عما يقلقه وإخراجه خارج ذاته في صورة وحدات مرسومة يعدّ جزءاً من العلاج في حدّ ذاته، لأنه – كما سبق وأوضحنا – وسيلة للتنفيس عما بداخله .

كما يمكن التدخل وتعديل اتجاهات الأطفال من خلال ما يلي :

عمل مجموعات للرسم (وذلك في الحصة المخصصة لذلك): وفيها يترك لكل طفل في البداية أن يعبّر عما بداخله كما يريد، ثم في مرحلة تالية من الحصة يقوم المعلم بتعليم الأطفال بعض الرسوم أو اختراقها، شريطة أن تتضمن تلك الرسوم الجديدة أفكاراً أكثر إيجابية حتى تساعد ولو بجزء في تحويل اتجاهات الطفل، فنعلمه رسم زرعة أو شجرة قائمة مثمرة بدلاً من رسومهم التي يعمها الدمار والموت والانكسار .

ويمكن من خلال هذه الجلسات التعرف على الحالات شديدة الاضطراب التي لا يمكن تعديلها من خلال مجموعات العمل والتنفيس، مما يحتاج معه تحويل الطفل إلى متخصص بعد توافر مؤشرات أخرى على هذا الاضطراب .

ولا تنس بعد نهاية الرسم مناقشة الرسوم بصورة جماعية ليتحدثوا عنها، وذلك حتى يتسنى لنا فهم الاختلاط في الأفكار، مما يتيح لنا فرصة التعرف على هذا التشويه وعلاجه من خلال مناقشات أخرى في حصص النشاط التالية، فمثلاً قد يختلط على الطفل فكرة إباحة قتل الآخر أو إنهاء حياته أو مشروعيتها، وذلك ما سمعه عن المجاهدين في

الحرب، فعلينا عقد ندوة للأطفال أو لقاء لهم لتوضيح الفرق بين مشروعية قتل العدو في الحرب واستباحة دم الآخر دون ذلك.. وغير ذلك من الأفكار .

ثانياً: اللعب كوسيلة من وسائل التشخيص والتدخل

اللعب أحد المجالات المهمة في حياة الطفل بوجه عام، ليس في إدخال المرح والسرور على حالته النفسية، فقط، بل إن اللعب وسيلة لتعليم الطفل بعض الأدوار التي سوف يقوم بها، فهو يتدرب على دوره المستقبلي في المجتمع كالطفلة التي تهتم بدميتها كما تقوم أمها بذلك نحوها .

وللعب دور كبير في تنفيس الطفل عن نفسه، فنجد الطفل يضرب عروسته أو دميته ليعلمها الأدب كما تفعل معه أمه أو والده، ونلحظه يكرر عليها نفس العبارات التي يسمها من والديه .

ولهذا يمكن أن نستخدمه في التشخيص والفهم، كما يمكن أن نستخدمه في العلاج كوسيلة لتفريغ الطفل للشحنات الكامنة داخله، سواء كانت شحنات غضب أو عدوان أو قلق أو ...

كيف يظهر اللعب الحالة النفسية للطفل؟

يلجأ الطفل للعب للتعبير من حالته بصورة مختلفة، فقد يلعب الطفل لعبة يخبر بها عما رآه أو ما تعرض له في صورة قهرية أو رغماً عنه، فنجده يكرر الحدث في صورة لعبة فيمسك الأشياء ويقذفها أو يضرب الأشخاص أو يصيح بالكلمات التي سمعها أثناء المشهد الذي تعرض له. فهو بذلك يخلق مجالاً خاصاً به من صنعه هو، يعرض فيه ما يجول بخاطره. ومن أمثلة ذلك: الطفلة التي تعرض منزلها للهدم في حملات الاجتياح الإسرائيلية على منازل الفلسطينيين أخذت تمارس لعبة فردية، وهي أن تقوم بتجهيز وتركيب القطع المكونة لمنزل، وتحرص على إتمامه بصورة دقيقة ووضع كل شيء في مكانه، ثم لا تلبث أن تضع يديها فيه بطريقة عنيفة فتهدمه، حتى تتطاير القطع وتظل تبكي وتبكي حتى تدخل في حالة من الإغماء، وحين منعها من ذلك تظل تحاول وتجاهد حتى تفعل، وحينما منعت من هدم المنزل استعاضت عنه بالورق لكي تفعل الشيء نفسه .

وكانت لعبة الطفلة رمزاً لما تعرضت له أو بالأحرى كانت تكراراً له وإظهاراً للتعبير الذي لم تظهره وقت وقوع الحدث، حيث لم تبك الطفلة وقت الهدم الحقيقي لمنزلها .

ولكن في المدرسة ما هي الألعاب التي يمكن أن نستخدمها؟

نظراً لطبيعة العمل بالمدرسة وصعوبة إيجاد وقت كاف للعب مع كل طفل، فربما يكون اللعب الجماعي أو الألعاب الجماعية حلاً لذلك، إلى جانب لعب الأطفال بصورة فردية، وتتيح الألعاب الجماعية فرصة التنفيس والاندماج مع الآخرين وتشجيع العمل بروح الفريق أو المجموعة .

وتجدر الإشارة إلى إمكانية استخدام اللعب كوسيلة لتوصيل بعض لمعلومات أو المفاهيم الأساسية للأطفال، فمثلاً قد تعلمهم لعبة حول: كيف يحمي الطفل نفسه أثناء القصف، وذلك من خلال لعبة ممتعة تشمل وضع إرشادات من خلال الأطفال أنفسهم، ونوضح لهم مواصفات المكان الآمن، وربما يؤدي ذلك إلى استشعار الطفل بالأمان، حيث يرى نفسه قد تعلم حماية نفسه، وكيف يتصرف في مثل هذا الموقف .

كما يمكن من خلال اللعب حل مشكلات بعض الأطفال أو تعديلها، فمثلاً قد يبدو أن طفلاً يتحرك بقدر قليل من الثقة بالنفس أو الانزواء بعيداً عن الآخرين، فربما تقترح المعلمة أن يتقلد في اللعبة منصب قائد المجموعة، وتدربه قبل بداية اللعبة على ما يمكن أن يقوم به وتظل جواره أثناء ذلك وتدعمه على كل نجاح يحققه .

كما يمكن أن تكون الألعاب حركية ممتعة، مثل كرة القدم أو غيرها من الألعاب التي يميل لها الأطفال .

وكي نستفيد من اللعب على النحو السابق يجب علينا توفير الجو الملائم للأطفال، من توافر عدة اختيارات أمامه يختار من بينها، بحيث يحدد ما يريد أن يستخدمه في التعبير عن نفسه وتفريغ ما لديه من شحنات .

كما يجب أن نلاحظ الطفل أثناء اللعب أو حتى نقوم بالملاحظة بالمشاركة التي تعني الاندماج مع الطفل في ألعابه للحصول على تفاصيل لعبة. ومن خلال هذا الاندماج يتضح لك بعض الأمور المتعلقة بالطفل والتي يمكن أن توجّه عملك

معه فيما بعد. فقد يتضح لك أن هناك طفلاً يميل إلى الأنانية وآخر يميل إلى الاستحواذ، وثالث لا يعرف كيف يقوم بدور في لعبة جماعية، وآخر يظهر دفعات عدوانية و... ثم أصنع من خلال الألعاب بعض الطرق التي يمكن أن تعالج ما شاهدته أو تتعاون مع الأسرة لتخفيفه أو علاجه.

وما يستقيم على الرسم يستقيم أيضاً على اللعب، من حيث عدم الاعتماد على ما يظهر على الطفل من اللعب وحده لتشخيص حالته، بل يجب الاعتماد على أكثر من وسيلة لذلك .

ثالثاً: السيكودراما

تذكر "أسماء غريب" أن السيكودراما أسلوب علاجي يحظى بجاذبية خاصة لدى الأطفال، إذ تلتقي في كثير من الأوجه مع اللعب ذلك النشاط الفطري التلقائي الحركي لأنها تمزج الخيال بالواقع والحقيقة بالخرافة، ومن ثم يقوم الطفل بالتنفيس عن رغباته المكبوتة وانفعالاته ويفصح عن دواعي القلق ومصادر التوتر لديه، كما يحدث نوعاً من الإشباع الداخلي لحاجات الطفل الذي يتعذر إشباعها في الواقع .

ويذكر عكاشة ١٩٨٠ أن السيكودراما أحد أساليب العلاج النفسي الجماعي، والتي فيها يقوم الأطفال أو المرضى بأداء أدوار مسرحية، ويتم أثناء تمثيلهم لهذه الأدوار إعادة لتاريخهم المرضي، ولذا يحدث التنفيس الانفعالي، وبالتالي يستفيدون من التمثيل في معرفتهم لذواتهم والإحساس بالراحة من خلال الحديث عن أنفسهم في شخص الممثل .

وبعد هذه التعريفات يمكن أن نخرج منها بأن السيكودراما هي وسيلة لمساعدة الأطفال على إتمام وتنفيذ مسرحية تمثيلية يعبّرون من خلالها عما يشاءون، وتصلح للأطفال من عمر المدرسة، وتقوم الدراما النفسية أو السيكودراما على أن ينجز الأطفال العمل بأكمله، من حيث التأليف ولعب الأدوار، دون تدخل في اختياراتهم. ولذلك فلسفة مؤداها أن الطفل سوف يختار أكثر الموضوعات إلحاحاً عليه، كما إنه سوف يسقط ما لديه على الأدوار التي سوف يقوم بها .

ويمكن من خلالها أيضا تغيير اتجاهات الأطفال، وذلك بالاتفاق على عمل مسرحية يتبادل فيها الأطفال أدوارهم، فمن يعبّر عن استيائه من تصرفات بعض زملائه يمكن أن نجعله يغير دوره ويلعب هو دورهم في تفاعلهم معه .

مثال توضيحي :

الطفل (أ) يشكو من أن الأطفال لا يحبون اللعب معه، ونريد تعديل ذلك، من خلال عمل مسرحية يتبادل فيها الدورمع أصحابه فيعلب طفل آخر دور الطفل(أ)، ويقوم الطفل(أ) بلعب دور أحد أقرانه الذين يراهم لا يحبون اللعب معه.

ومن خلال ذلك يرى الطفل (أ) نفسه، ويرى خصائصه التي ربما تنفر الأطفال من اللعب معه .

وسوف تقوم أثناء التدريب بالتعرف على نماذج عملية لذلك .

رابعاً: العلاج بالعمل

لا بد من الإشارة إلى أن ما أقصده من العلاج بالعمل هو – إن جاز التعبير- تعديل أفكار ومشاعر وسلوك الأطفال من خلال مساعدتهم على التفريغ في عمل والاندماج مع الآخرين فيه. وهو ما تناولناه عندما طالبنا في بداية هذا المؤلف الذي نحن بصدده أن يتم الاعتماد على الأطفال في إعادة تنظيم المدرسة وإعدادها .

ونكررها هنا لنشير إلى دورها في تأهيل الأطفال نفسياً ومساعدتهم على استيعاب فكرة إعادة الأعمار مرة أخرى وإعادة الحياة من جديد، وتحمل المسؤولية، والخروج من دور الضحية أو المجني عليه ليصبح صاحب دور فاعل في تحقيق ما يطمح له .

المصادر:

١- آمال صادق وفؤاد أبو حطب: لنمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين،مكتبة الأنجلو، الطبعة الثالثة،١٩٩٥.
٢- أمنية السماك وعادل مصطفي: الدليل التشخيصي- والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية المعايير التشخيصية، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ .
٣- صفوت فرج: الذكاء ورسوم الأطفال، دار الثقافة، ١٩٩٢.